مسالك تفسير القرآن الكريم
عند المعاصرين
"عرض ومناقشة وتقويم"

✍ إعداد الدكتور

مجتبى بن محمود بن عقلة بني كنانة

D.R:Mujtaba mahmoud okleh bani kenana

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والقراءات المشارك

Associate Professor of interpretation and Sciences of Quran

قسم أصول الدين، كلية الشريعة وأصول الدين

"جامعة نجـران، المملكة العربية السعودية"

"Najran University, Kingdom of Saudi Arabia"

azharknanh@yahoo.com

مسالك تفسير القرآن الكريم عند المعاصرين "عرض ومناقشة وتقويم"

مجتبى بن محمود بن عقلة بني كنانة
قسم التفسير وعلوم القرآن والقراءات – قسم أصول الدين، كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة نجران، المملكة العربية السعودية"
البريد الاليكتروني : azharknanh@yahoo.com

الملخص :

ترصد الدراسة منطلقات التفسير المعاصر باستقراء، ثم توازن بينها وتقومها، بعرض كل منها تحت المسلك المنتمية له. وجمعت الدراسة أكثر الإنتاج التفسيري المعاصر. وإشكاليتها في كثرة الإنتاج التفسيري المعاصر واختلافه على الأصول التفسيرية بتجاذب نحو الانفلات منها، أظهر الحاجة لضبط مفهوم التفسير من جديد وحد ضوابط تجديدية له تظهر ماعلية بعض التفسير المعاصر من اتساع اتجه للخروج من المفهوم والضوابط. وهي امتداد لمفهوم التفسير الأصيل المستمد من القرآن والسنة بفهم القرن الأول ومن تبعهم بإحسان. **ومن أهداف الدراسة:** وصف التفسير المعاصر باستقراء، ثم تصنيفه في مسالك متمايزة جامعة، وبيان مسالك تفسير القرآن وتحديد نتاج المعاصرين وفقها. وبوصف مسلك التفسير الأصولي ومناقشة إشكالاته، ضبطت الدراسة مفهوم تفسير القرآن وأظهرت الحاجة لنظرية معاصرة للتفسير الأمثل. بعدها أوضَحتْ مسالك التفسير الأخرى (الفلسفي والعلمي والفكري) ووصفت النتاج التفسيري فيها ونقدتها وقومتها، **وسلكت الدراسة المنهج** الوصفي والاستقرائي والتحليلي والنقدي. **ومن أهم نتائج الدراسة:** حصر نتاج التفسير المعاصر في ٤ مسالك هي: الأصولي والفلسفي والعلمي والفكري، ووضع كل مفسر في الجهة التي انطلق منها وأنتج تفسيره في رحابها، وبيَّنت الدراسة تشكُّل الواقع الفكري في التفسير بتأثير سياسي، وديني، واجتماعي..وتبين أن المسلك الأصولي في التفسير هو الذي يجب أن يتخذه المفسرون المعاصرون لتحديد مفهوم أكثر انضباطا لتفسير القرآن يفصله عن إسقاط ذات الإنسان وفكره. واختار الباحث بعد النظر والاستقراء أن يكون معنى التفسير هو: (سعي النبي ﷺ ومن تبعه لبيان مراد الله سبحانه والكشف عن مقصده من كلامه بقدر ما يوفقهم الله ويهديهم، وفق حاجة المتلقين، لغاية هدايتهم أو محاجتهم). فهذا التعريف يحل إشكالات المسلك الأصولي، ويسد الباب على المسلك الفكري، خصوصا توسعات الأيديولوجيين والحداثيين، ويضبط المسلك الفلسفي والعلمي بتوجيههما نحو المسلك الأصولي. **وتوصي الدراسة:** بوضع

نظرية معاصرة للتفسير الأمثل للقرآن الكريم باستحضار رؤية متوازنة للنتاج التفسيري المعاصر والتراثي، تكون غايتها معرفة مراد الله عز وجل من كلامه دون أدنى إسقاط ذاتي من المفسر.
الكلمات المفتاحية: مسلك التفسير المعاصر- الأصولي- الفلسفي- العلمي- الفكري.

Pathways of Interpretation of the Noble Qur'an among Contemporaries "Presentation, Discussion and Evaluation"

Mojtaba bin Mahmoud bin Uqla Bani Kenana
Department of Interpretation, Quranic Sciences and Readings - Department of Fundamentals of Religion, College of Sharia and Fundamentals of Religion - University of Najran, Kingdom of Saudi Arabia
e-mail: azharknanh@yahoo.com

abstract:
The research monitors the starting points of contemporary interpretation by extrapolation, then balances them and performs them after presenting them under the course belonging to it, and collected a lot of contemporary expository production. Among the objectives of the research: To describe contemporary interpretation by extrapolation, then to categorize it into distinct pathways, and to clarify the paths of interpretation of the Qur'an and to determine the results of contemporaries according to them. By describing the course of fundamentalist interpretation and discussing its problems, he set the concept of interpretation of the Qur'an and the need for a contemporary theory of the ideal interpretation arose. Then the research clarified the course of other (philosophical interpretation It followed the descriptive, inductive, analytical and critical approach, and among the most important results of the research: the product of

contemporary interpretation was limited to ٤ tracks: the fundamentalist, philosophical, scientific and intellectual, and each interpreter was placed in the side from which he started and produced his interpretation within its scope, and a statement that formed The intellectual reality of exegesis with political, religious and social influence ... It has been shown that the fundamentalist approach to interpretation is what contemporary commentators must take to define a more disciplined concept of interpretation of the Qur'an that separates it from the projection of man's self and thought. The researcher chose, after consideration and extrapolation, that the meaning of the interpretation is: the pursuit of the Prophet and whoever follows him to clarify what God Almighty wants and to reveal On the purpose of his speech as much as God will help them and guide them, according to the needs of the recipients for the purpose of their guidance or argument. This definition solves the problems of fundamentalist behavior, closes the door on the intellectual path, especially the expansion of modernists, and controls the philosophical and scientific conduct. The research recommends: to develop a theory for the optimal interpretation of the Holy Qur'an by invoking a balanced view of the contemporary and heritage interpretive productions, whose goal is to know what God Almighty wants from His words without the slightest self-projection of the interpreter.

Keywords: the course of contemporary interpretation, fundamentalist, philosophical, scientific, intellectual.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الخالق العظيم المنان، الذي علم الإنسان البيان، وأنزل القرآن تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، والصلاه والسلام على النبي العربي الأمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فالقرآن كتاب هداية عامة للعالمين، منه يشكل الإنسان فكره ويستمد علمه، ولا شك أن أسوء ما أفرزه التاريخ الإسلامي من إسقاطات على القرآن بتفسيره وعلى الدين عموما، هو مسلك فكر الإنسان في إعلاء مرادات ذاته، بدلا من نكرانها أمام الحق، ثم تقليد مجموعة من الناس له حتى تتماها ذواتهم في ذاته! فينكرون أنفسهم أمامه فلا يرون الحق إلا من خلاله، فلا يستطيعون بعدها إدراك باطله! وهكذا ينشأ التقليد للذوات مقابل ترك الاتباع للقرآن ومن جاء به. إذا هناك مؤثرات إنسانية تُظهِر الحق بمنظور ذاتها وهواها، فإذا كان ذلك مع تفسير القرآن، أخرجه عن مقصده فيما أورده من معانٍ إلى مقاصد الإنسان المختلفة. وهذا جانب إنساني أثر على النتاج التفسيري للقرآن الكريم التاريخي والمعاصر، ويصح أن نسميه بمسلك الإنسان الفكري في تفسير القرآن. ثم بعد دخول الفلسفة اليونانية بنظرياتها للمجتمع الإسلامي عن طريق علماء مسلمون كالفارابي وابن سينا أسقطوها على القرآن وتفسيره نتج عن ذلك المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم. فالمسلكان الفكري والفلسفي جذورهما ممتدة في التراث الإسلامي، وامتد المسلكان إلى عصرنا الحاضر، ثم في هذا العصر الذي علا فيه العلم التجريبي عند الغرب وأظهر مكتشفات واختراعات لم يسبق لها وجود، ظهر بوضوح مسلك المقاربة بين العلم والقرآن وتفسير آياته بمقتضى هذا العلم مع أن هذا المسلك بدأ قبل عصرنا ضعيفا ومنزويا، وهو ما نسميه بالمسلك العلمي التجريبي في تفسير القرآن. كل هذه التجاذبات المتنوعة أظهر المهتمون بها إنتاجاً تفسيرياً كبيراً ومتجدداً وكل منها يتجه اتجاها متفارقا مع غيره. وفي وجود كل ذلك اليوم امتدت طريقة المتقدمين في التفسير ليومنا هذا بمسلكها الأصولي. من هنا تظهر **أهمية الموضوع** في وصف التفسير المعاصر بكل مسالكه بتجرد، وبيان جذور تلك المسالك ومتجهاتها، ووصف قربها وبعدها من مفهوم التفسير وضوابطه، ثم مناقشتها بإنصاف، ثم تقويم ما يتبين مخالفته، أو ما هو خلاف الأولى. ومحاولة ضبط ذلك كله بمفهوم

التفسير وضوابطه المنطلقة من المسلك الأصولي. وتظهر **أهميَّة الموضوع بشكل أوضح في الأمور الآتية:**

١. بيان تفسير المعاصرين للقرآن الكريم، وبيان تعدد منطلقاته، وتصنيفها حسب دوافعها وغاياتها.
٢. ربط النتاج التفسيري المعاصر كل بمسلكه ومنطلقه، وتشكيل تصور ذهني لمسالك التفسير، وعلاقتها ببعضها.
٣. استحضار لمنطلقات الإنتاج التفسيري لتمييزها ذهنيا ونقدها علميا.
٤. الإشارة لأهمية تطبيق نظرية عامة في تفسير القرآن الكريم، ووضع ملامحها.
٥. إيجاد الروابط الحقيقية بين حال المفسر ومسلكه في التفسير.
٦. قياس التفسير في التراث الإسلامي والتفسير المعاصر بقربه وبعده من المسلك الأصولي ومفهوم التفسير المنضبط.
٧. رصد الأفكار التفسيرية الحديثة والإشارة لآثرها.
٨. تصنيف التفسير الحديث ووضعه في نصابه ومكانه.

أسباب اختيار الموضوع: سبب رئيسي: الاتساع في التفسير المعاصر وكثرة إنتاجه التفسيري، والتسارع في نمو التفسير الحديث المتجه نحو الإنسان. وأسباب فرعية:

١. عدم وضوح العلاقة بين التفسير المعاصر والموروث التفسيري.
٢. الحاجة لتصنيف الإنتاج التفسيري الحديث، ووضعه في مكانه، وتمييزه من بعضه.
٣. كثرة الدراسات للمستجدات في مسائل التفسير التأصيلية، والتي تتناول مسائل قرآنية تشريعية.
٤. ظهور تأثير ذاتية المفسر في بعض النتاج التفسيري الحديث، حتى غطى على مفهوم التفسير وغايته.
٥. السعي لوضع خريطة ذهنية مترابطة لجميع النتاج التفسيري المعاصر.

مشكلة الدراسة: تظهر في دراسة النتاج التفسيري الحديث عند المعاصرين وتصنيفه وتوضيح أثره على مفهوم التفسير، لأن شهرة الأحكام العامة على بعض الأعمال التفسيرية قد تجعلها في غير مكانها الدقيق وتصنفها في غير مسلكها. **وتساؤلات الدراسة:** تساؤل رئيسي، وعدة تساؤلات فرعية، أما التساؤل الرئيسي فهو: ما المسالك التي اعتمد عليها المفسر المعاصر في تفسيره للقرآن الكريم؟ أما التساؤلات الفرعية فتتلخص في الآتي:

- ما التفسير المعاصر، وما وجه ارتباطه بالموروث التفسيري؟

- ما مسالك التفسير، وما منهجيه المفسر في سلوكها؟
- ما العلاقة بين التفسير المعاصر بمسالكه، والاختلاف في مفهوم التفسير؟ ثم الخروج عن ضوابط التفسير؟
- ما المسلك الأصولي وما أثره في ضبط مفهوم التفسير وتحديد ضوابطه وغلق باب الاختلاف؟
- ماهو المسلك الفلسفي، وما أثره في التفسير؟
- ما المسلك العلمي وما أثره في التفسير؟
- ما المسلك الفكري وما تأثيره، وما أثر التوسع به في نقض الأصول؟
- ما المتجهات التي نتجت عن المسلك الفكري؟ وما مدى تأثيرها على حركة النتاج التفسيري؟

أهداف الدراسة: تنقسم إلى هدف رئيسي ومجموعة أهداف فرعية، أما الهدف الرئيسي فهو بيان مسالك التفسير عند المعاصرين، ووجهات ترابطها وعلاقاتها وأثرها. ومجموعة الأهداف الفرعية كالآتي:

١. وصف التفسير المعاصر باستقراء ثم تصنيفه في مسالك متمايزة جامعة.
٢. بيان مسالك تفسير القرآن وتحديد نتاج المعاصرين وفقها.
٣. وصف مسلك التفسير الأصولي ومناقشة المفهوم والضوابط في التفسير والنتاج التفسيري.
٤. ضبط مفهوم تفسير القرآن والإشارة للحاجة لنظرية معاصرة للتفسير الأمثل للقرآن الكريم.
٥. توضيح مسلك التفسير الفلسفي والعلمي والفكري، ووصف النتاج التفسيري لكل منها.
٦. نقد وتقويم مسالك التفسير بمعيار مفهوم تفسير القرآن وضوابطه.
٧. الربط بين الاختلاف التاريخي الأيديولوجي واختلاف مسالك التفسير المعاصرة.
٨. الوقوف على المسلك الفكري في التفسير، وبيان العلاقة بينه وبين التوجه الذاتي نحو القرآن والذي يظهر بصور مختلفة.

الدراسات السابقة: إن ثمرة موضوعي كما أردتها –وكما أشرت إليها في المقدمة– لم أجد من بحث ووصل إليها، وأعني تصنيف التفسير المعاصر إلى مسالك تجمع جميع الإنتاج التفسيري تحتها، ثم نقد هذه المسالك وتقويمها، ثم إيجاد تعريف تحديدي أصولي لمفهوم التفسير وضوابطه، ثم الخلوص لنتيجة جامعة بالحاجة لوجود مسلك أمثل في

تفسير القرآن، يعبر عنه بنظرية علمية بنائية، ثم قياس النتاج التفسيري وفقه. فالموضوع بهذا الترابط لم يبحث سابقا، ونتائجه لم أجدها في الأبحاث المتقدمة، كذلك تقسيماته وتسلسل عرضه. ومع ذلك هناك جزئيات قد تشترك في ظاهر عناوينها مع عنوان بحثي تكلم عنها باحثون معاصرون تحاول أن تعالج بعض قضايا التفسير المعاصر كما يتصورها باحثوها، أعرض ما وقفت عليه منها مع نقدها وبيان الإضافة العلمية لبحثي عليها. فمن أهم الدراسات الوصفية والنقدية التحليلية للتفسير المعاصر، والتي تناولت عناوينها جوانب متفرقة من موضوع دراستي الأبحاث الآتية:

١. **تطور تفسير القران قراءة جديدة**، لمحسن عبد الحميد، الطبعة الثانية ٢٠١٨م. هذا الكتاب قسم التفسير المعاصر إلى قسمين: المسار الرئيس الصحيح وهو المنهج الأصولي، ومسارات منحرفة. ولم أتمكن من الاطلاع على محتوى الكتاب تفصيلا، لكن من ملخصه يلحظ الفرق بين بحثي وبينه في الغاية والمنهج والتقسيمات، رغم التقارب الجزئي في بعض التسميات مما تتوارد به الأذهان إذا استقامت.

٢. **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان ١٤٠٦هـ وهذا الكتاب مطول، عالج مناهج التفسير في القرن الحالي، بدأ بالاتجاه العقدي، بمنهج أهل السنة والجماعة، ثم عرض منهج الشيعة، والإباضية، والصوفية، ثم الاتجاهات العلمية المنهج الفقهي، والأثري، والعلمي التجريبي، ثم الاتجاه العقلي الاجتماعي، ثم الاتجاه الأدبي البياني والذوقي، ثم الاتجاه المنحرف. والكتاب وصفي نقدي شمولي، وبحثي تأصيلي برؤية جديدة وتقسيماته خاصة، وفيه إضافات في تحريرات اصطلاحية.

٣. **أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني**، عبدالله علي عباس، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (١٢) المجلد: ٦، ١٤٣٣هـ. وهذا البحث دراسة تاريخية ومعاصرة مختصرة، للانحراف في التفسير لأهم الفرق المتأثرة بواقع سياسي أو فكري، المتأثرة بالأسباب نفسها، والباحث وصف الواقع السياسي والفكري تاريخيا ومعاصرا بنماذج لمفسري الفرق قديما والأحزاب حاضرا، مثبتا الربط بين هذا الواقع وتأثر التفسير بنماذج أوردها، وأقول –من وجهة نظري– فالنظر للواقع السياسي يشكله التوجه الفكري للمفسر فهو يتبع الفكر ولا يفصل عنه، فالفكر هو المحرك لتشكل وتطور الواقع باتجاه سياسي أو ديني أو اجتماعي أو إصلاحي، أو تقليدي أو غير ذلك..، ثم يسقط على آيات القرآن لبث هذا الفكر بمتجهاته، وبذلك يتبين الفرق بين بحثي وبحث الدكتور في هذه الجزئية، إضافة لما توسع به بحثي في الجانب

الفكري ليحصر جميع الاتجاهات التي ظهرت في التفسير المعاصر، عدا المباحث الأخرى التي تفرد بها بحثي، والتي أهمها المبحث الأول في المسلك الأصولي..

٤. **تعظيم القول في التفسير وأثره في دفع القراءات المنحرفة المعاصرة للقرآن الكريم**، لإبراهيم بن صالح الحميضي، مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد(١٢) ١٤٣٤هـ. يتجه هدف البحث لبيان حرمة التفسير بالهوى، وتجاوز أصول علم التفسير وقواعده، والإسهام في ضبط منهجي للكتابة في التفسير، والاستنباط منه، وإثبات أن كثيراً من القراءات المنحرفة المعاصرة للقرآن الكريم سببها الخوض في كتاب الله عز وجل بغير علم، ومشكلة دراسته هي بحث غير المختصين في الشريعة بالتفسير وتجرؤهم دون الإلمام بأدواته وضوابطه، وجاءت خطة بحثه تعرض تحريم التفسير بالهوى، وتورع الصحابة عن التفسير بغير علم، ثم أثر عدم تعظيم القول في التفسير على ظهور التفسيرات المنحرفة، ثم التدبر المشروع، وأخيرا شروط المفسر. فبحثه يتجه إلى بيان المكانة الشرعية للتفسير، ثم تعظيمها عند المعاصرين، بمعنى أن بحثه يعنى بالجانب التأثيري بتقديس الدين وتعظيم القرآن. وهنا يظهر اختلاف بحثي عن بحثه في معالجة هذه الجزئية، فيتجه بحثي إلى الثغرة التي دخلوا منها ثم توسعوا ليصلوا إلى ماهم فيه من قراءات ليس لها أدنى اتصال بالقرآن ومراده! وهذه الثغرة آتية من عدم معالجة إشكالات المسلك الأصولي في التفسير والذي سعى بحثي لمعالجتها، وبيان أثر النمو نحو المسلك الفكري في مقابل ذلك.

٥. **كتاب الإنسان والقرآن** لحميدة النيفر، عرض به جملة تفاسير معاصرة وتناولها بالنقد ويختلف كتابه عن بحثي ومقصده. ومقال إلكتروني له بعنوان: **التفاسير المعاصرة للقرآن الكريم**، منشور في: يوليو، ٢٠١٧م تونس- الزيتونة، تحدث فيه عن رأيه في الحاجة للتفسير، وزخم التفاسير وانتشارها المتسارع والمتكرر وتحدث عن تفسير القرآن بالمأثور، وضوابط التفسير والاتجاهات العامة لتفاسير القرآن، من هذه العناوين يتضح اختلاف مقاله عن بحثي في الهدف والعرض والمقاصد والأهداف.

٦. جلسة علمية تحت عنوان: **رحلة علمية مع التفاسير المعاصرة**، قدمها أحمد شكري، منشورة بمقال مكتوب إلكترونيا بتاريخ ٢٠١٨/١٠/٣٠م عرض فيها وفق المنهج الوصفي والنقدي جملة أمور هي أولاً: التفاسير المعاصرة بين التجديد والتقليد، ثانياً: التفاسير المعاصرة بين النهوض والغموض، ثالثاً: اقتحام المرأة ميدان التفسير، رابعاً: التفسير الإعلامي وتجديد الخطاب الديني، ومؤدى كلامه مختلف عن بحثي ومقصدة.

٧. **أثر الثقافة الوافدة في تطور التفسير المعاصر**، محمد داود موسى، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، السنة العاشرة المجلد العاشر العدد: (٤٢) ٢٠١٩م. يتجه هدف الباحث إلى نقد أثر الأفكار والثقافات الوافدة على تفسير القرآن الكريم في عصرنا، حيث ظهر أثرها في بعض مناهج المفسرين، أو مدعي التفسير، ومشكلة دراسة الباحث متعلقة بحالة التفسير المعاصر من جهة تنوع مشاربه واتجاهاته، حيث خلص إلى تأثر المدارس التفسيرية المعاصرة بالثقافة الأوروبية، ويرى الباحث أن التجديد الفكري في التفسير ثلاثة أقسام: توجه تمسك بالإرث التفسيري الذي خلفه لنا المفسرون الذين سبقوا عصرنا هذا، فكان توجها كلاسيكيا في الآلية والمضمون. وتوجه تجديدي منضبط وهو توجه دعا إلى تجديد التفسير المعاصر على عدة نوافذ، كأن تكون اجتماعية أو أدبية، أو بيانية، أو غير ذلك، وهذا التوجه التزم بأصول التفسير وقواعد فهم النص القرآني بشكل عام. وتوجه تجديدي منحرف يحاول إخضاع القرآن الكريم لقواعد غربية تخالف أصول التفسير، بل وتتضارب مع قدسية القرآن الكريم، وعليه فإن الفكر الوافد قد ساهم بتطور التوجهات التفسيرية الثلاثة في وقتنا المعاصر وصيرورتها على ما هي عليه. ولا يوافق الباحث فيما قاله فليس وجود التوجهات التي قسمها هو الفكر الوافد للأمة! فبالأصل ليس التفسير فكراً التفسير مفهوم قرآني، علمه السلف واستمر العلم به لليوم مع حاجة المفهوم لضوابط أخرى يقتضيها عصرنا، ولست أوافقه على تقسيمه واصفاً التوجه المتمسك بالإرث التفسيري بأنه كلاسيكي! فهذا الاصطلاح وافد ولا يعبر عن تراث الأمة التفسيري! أما التوجه الذي وصفه بالمنضبط، وهو المتجه اجتماعيا أو أدبيا أو بيانيا، فليس منضبطا كما يظهره لنا إنتاجه التفسيري، فالاجتماعي فيه إسراف في الخروج عن مفهوم تفسير القرآن الكريم، والاتجاه الأدبي خرج عن ضوابط التفسير الأصولي متجها إلى علم الأدب المعاصر، بل وتجاوز بعض المشتغلي بالأدب العربي لوصف الله بما لايليق انسياقا مع الصور الفنية، والبياني أفرز مدرسة تنظر للقرآن أنه كتاب لغة حتى نتج عنها من يقول بأسطورة القرآن!!. وأتفق معه في وصفه للتوجه الثالث بالمنحرف لأنه خرج عن أصول التفسير الموروثة والتجديدية برمتها. وبالاطلاع على البحث يظهر أن بحثي يضيف إضافات كثيرة لم يوردها الباحث، ويختلف معه في نتائج كثيرة كالتي سبق نقدها، أما الإضافات فهي في التسميات والتقسيم، وفي المضمون والنتائج، ومما أضافه بحثي معالجة مفهوم التفسير الأصولي بمفهوم القرآن للتفسير ودلالة السنة.

٨. **التكلف في التفسير عند المعاصرين الأسباب والآثار**، بامؤمن محمد مؤمن محمد، بحث لدرجة الماجستير، جامعة أم درمان الاسلامية السودان ٢٠١٠م، ويقصد الباحث حمل الآيات على معنى قد يحتمله اللفظ مع وجود المعنى الظاهر من غير حاجة شرعية، ظهر في العصر العباسى حيث ظهرت الفرق، واختار الباحث اثنان من التاريخ التفسيري ليطبق عليهما مفهوم بحثه وهما الفخر الرازي، والزمخشري، وانتقل للمعاصرين واختار طنطاوي جوهري، والكاتب مصطفى محمود. ثم يعد الإعجاز العلمي أو التفسير العلمي تكلفا برمته وخاصاً بهذا العصر، ثم أورد أشهر المنتقدين للتكلف في التفسير ذكر منهم ابن عاشور، ومحمد حسن الذهبي، وعزا أسباب التكلف إلى الانحراف العقدي وهو مشترك بين الممتقدمين والمتأخرين، والخوض فيما سكت عنه الشرع، والتعصب المذهبى والفقهى، وإغفال التفسير المأثور والتوسع في التفسير الإشاري. وذكر الأسباب الخاصة بالمعاصرين فقال مثل المبالغة في التفسير العلمى، وعدم التمكن من شروط المفسر، ودعوى التجديد المزعومه وختم بآثار التكلف في التفسير، فقسم تعلق بتحريف الكلم عن موضعه، وقسم تعلق بفتح الطريق أمام المغرضين وذكر المستشرقين والعلمانيين والمثقفين. ومن هذا الملخص نقف مع الباحث قليلا، أولا في مسألة تكلف الاصطلاحات، فعنوان البحث فيه تكلف، لأن الباحث يرى أنه لا فرق كبير بين التأويل والتفسير الإشاري وبين مقصوده بالتكلف، إلا من جهة شروط كل منهما. والبحث في رأيي فيه إغماض لدراسة تاريخ التفسير، ولا يوافق على أن التفسير العلمي للقرآن وإعجازه علم متكلف وأنه خاص بعصرنا، فقد بحث فيه المتقدمون، وصحيح أنه قد يتناوله بعض الناس بتكلف كتناولهم أي نوع من أنواع التفسير، فليس هو في ذاته تكالفا، أليس هناك تكلف عند بعض من تناول التفسير الفقهي أو التفسير اللغوي وغيرهم؟. ثم ممن اختارهم الباحث في نقد التفسير المتكلف مجموعة ذكر منهم صاحب الظلال. أقول أليس إنتاجه متكلفاً أيضا؟ في بعض جوانب العقيدة واللغة، ثم ما ذكره من أسباب التكلف تقسيمات غير متمايزة وهي متداخلة إلى حد ما مع بعضها. والبحث تغلب علية الأحكام المسبقة أكثر من المناقشة والحوار. ويختلف بحثي عن بحثه في التقسيمات والتفريعات والمضمون والنتائج، وبعض المشتركات بينهما خالفته في عرضها ونتائجها كما سبق.

٩. **من جهود المفسرين المحدثين في الدراسة النصية للنص القرآني: دراسة تحليلية لثلاثة إتجاهات في التفسير القرآنى**، لمحمد إبراهيم الطاووسى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ. هذه الدراسة رصد بعض اتجاهات التفسير التي عنيت بالدرس

النصى القراني في العصر الحديث. والهدف بيان المناهج في التفسير. وذكر المنهج الانطباعي التاثري، والمنهج الموضوعي، والمنهج اللغوي البلاغي، وهي دراسة متجهة نحو التفسير اللغوي وتأثيره، وتتجه نحو التحليل لا التأصيل، ودراستي مختلفة تماما.

١٠. **اتجاهات التفسير في العصر الحديث من محمد عبده حتى مشروع التفسير الوسيط**، مصطفى محمد الحديدي الطير، المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية (بحوث قرآنية) مصر مجمع البحوث الإسلامية، الشركة المصرية للطباعة. ١٩٧١م. بحث وصفي نقدي متعلق بالمدرسة الحديثة في التفسير، ويختلف بذلك عن بحثي في المنطلق والمصب.

١١. **اتجاهات التفسير في العصر الراهن**، وقسمه إلى اتجاه سلفي وعقلي وعلمي، وتقسيمه مجمل وفيه تداخل، ويختلف عن مرادي في بحثي وبالطريقة والعرض والمضمون والنتائج.

١٢. **التفسير والتفاسير الحديثة**، لبهاء الدين الخرّمشاهي. وهو بحث وصفي نقدي لتفاسير المدرسة العقلية الحديثة، ويختلف عن بحثي.

١٣. **التراث التفسيري للقرآن بين الأصالة و المعاصرة** عبدالله عودة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠١١م بحث نقدي للتراث التفسيري، ومال للدعوة إلى الحداثة والمعاصرة والواقع لكن دون الخروج عن النص ولا الإعراض عن التراث، ولكن بإعادة النظر بالجهد التفسيري ليتلاءم مع المتغيرات! وتختلف غاية بحثه عن غاية بحثي وأهدافه ومضمونه ونتائجه.

١٤. **ضوابط التجديد في التفسير المعاصر دراسة موضوعية**، لإحتراس شاكر فندي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ٢٠١٨م، تناولت مفهوم التجديد والتفسير وبواعثه ثم ضوابط التجديد وآدابه في العصر الحديث ومن نتائج البحث الابتعاد عن كل ما يخالف مقاصد الدين وأصوله والثوابت الاسلامية بحجة التجديد والتطور ومواكبه العصر. ويختلف عن بحثي في المضمون والهدف والتقسيمات والنتائج.

١٥. **الاتجاهات الفكرية في التفسير**، للشحات السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ط١، ١٣٩٥هـ. ومن عنوانه يتضح اقتصاره على ارتباط الفكر في التفسير دون تحديده تاريخيا أو معاصرة. وهو مختلف عن بحثي تماما.

ثم مجموعة أبحاث يتجه البحث فيها إلى القراءات الخارجة عن ضوابط التفسير عند المعاصرين سواء أكان لها امتداد تاريخي، أو حادثة بالاتصال بالمناهج الغربية الحديثة، وهذه جزئية يسيرة مما عالجه بحثي ضمن المسلك الفكري، واتجه بحثي فيها للتصنيف

والنقد المجمل، واتجهت أبحاثهم إلى التحليل والردود والتفنيد وهذا يختلف عن مقصد بحثي ومشكلته. فمنها:

١. **الاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم** لحسين درويش، رسالة ماجستير في جامعة بغداد ١٩٨٦م
٢. **اتجاهات التفسير في العصر الحديث،** لعبد المجيد المحتسب، دار الفكر، بيروت ، سنة ١٣٩٣هـ .
٣. **ظاهرة العقلانية في التفسير في العصر الحديث** لغازي يوسف، رسالة ماجستير في جامعة بغداد ١٩٩٣م
٤. **الانحراف الفكري في التفسير المعاصر دوافعه ومجالاته وآثاره،** يحيى شطناوي، أطروحة دكتواره، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٩٩٩م.
٥. **القراءة الجديدة للنص الديني** لعبد المجيد النجار تاريخ النشر: ٢٠٠٦/٠١/٠١م مركز الراية للتنمية الفكرية.
٦. **القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان،** أحمد عمران تاريخ النشر: ٢٠٠٧/٠٩/٠١ دار النفائس ط٢.
٧. **الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث،** عادل علي الشدي، ٢٠١٠م.
٨. **القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير،** أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، المؤلف: محمد محمود كالو، إشراف: د. عبد المنعم بشناتي. تاريخ النشر: ٢٠٠٩/١٢/٣١ دار اليمان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط١
٩. **القراءات المعاصرة للقرآن الكريم الجابري نموذجا، محمد الناسك،** أطروحة دكتوراة بكلية الأدب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٥م، وواضح من العنوان أن هذا البحث هو دراسة نقدية تقويمية لفكر الجابري، وبالاطلاع على البحث ناقش البحث الجابري في مسائل كثيرة بحثها في كتبه، وبالتالي يتحه بحثه إلى متجه مختلف عن بحثي.

منهج البحث والدراسة: اقتضت طبيعة الدراسة اعتمادها على عدة مناهج، وهي المنهج الوصفي[١] والاستقرائي[٢]والتحليلي[٣] والنقدي[٤]، من خلال الخطوات والإجراءات الآتية:

١. تعريف أهم اصطلاحات الدراسة، وبيان علاقة جمل عنوان البحث ببعضها ووجه ترابطها.
٢. جمع المصنفات التفسيرية المعاصرة ثم تصنيفها تحت ما تنتمي إليه من مسالك التفسير الأربعة.
٣. استحضار مسالك التفسير جميعا التاريخية والمعاصرة بإجمال، والربط بينها بموضوعية.
٤. وصف مسالك التفسير المعاصرة وتصنيفها.
٥. مناقشة المسلك الأصولي والمسلك الفلسفي والمسلك العلمي والمسلك الفكري ونقدها وتقويمها عند الحاجة.
٦. تحليل الآراء والنُّقول في ضوء المناهج المختصة المعتبرة.
٧. عزو الآيات القرآنية، وكتابتها بالرسم القرآني، وتخريج الأحاديث النبوية وبيان حكم المحدثين عليها.
٨. العزو للمصادر والمراجع في الهوامش باسم المؤلف وكتابه والجزء والصفحة.
٩. وثَّقْت المصادر والمراجع حسب المنهج العلمي.
١٠. ختم البحث بخاتمة وفهرس المراجع.

---

(١) المنهج الوصفي: "هو منهج يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات، ثم مقارنتها، وتحليلها، وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة" ينظر: كتاب أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري: (ص:٦١).

(٢) المنهج الحصري الاستقرائي: "هو أساس البحوث، فهو الذي يكشف جزئيات قد تكون غامضة على كثير من الناس، فهو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية". ينظر: المنهاج في تأليف البحوث، محمد التونجي: (ص:٩٤).

(٣) المنهج التحليلي: "يعتمد على استيعاب المسألة أو القاعدة، ثم استيعاب موضوعها، ثم محاولة تحليلها على ضوء معطيات هذه القاعدة، لاكتشاف مدى وفائها للقاعدة، أو مدى التصويب أو التخطيء أو التحويل، كل ذلك دون خروج في التحليل على القاعدة أو النسق الذي انطلق منه". ينظر: كتاب أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري: (ص: ٦٣-٦٤).

(٤) "يعتمد المنهج النقدي إلى حد كبير على التدليل المنطقي للوصول إلى حلول ونتائج لمقدمات، ثم مناقشة جزيئاتها". انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر: (١٩٨٢م).

مخطط الدراسة: المقدمة: وفيها، موضوع البحث وأهميته، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة الدراسة، وتساؤلاتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج البحث. أما المباحث فأربعة: التمهيد، ثم المبحث الأول وفيه ثلاثة مطالب، ثم المبحث الثاني والثالث والرابع وتحت كل واحد منها مطلبان. ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس. وتفصيل محتويات خطة المباحث كالآتي:

التمهيد: وفيه توضيح مصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: المسلك الأصولي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: المسلك الأصولي استمداده وامتداده وإشكاليته.

المطلب الثاني: عرض الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الأصولي.

المطلب الثالث: المسلك الأصولي في التفسير تحديد المفهوم والضوابط في إنتاج المفسر المعاصر.

المبحث الثاني: المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثالث: المسلك العلمي (العلم التجريبي) في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم المسلك العلمي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك العلمي في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الرابع: المسلك الفكري في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم المسلك الفكري في تفسير القرآن.

المطلب الثاني: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري في تفسير القرآن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

فهرست المراجع.

والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: توضيح مصطلحات الدراسة

في إطار إرادة تصنيف النتاج التفسيري المعاصر كان لابد من حصر توجه المفسر بما غلب على تفسيره، وباستقراء التراث التفسيري جملة والمرتبط بالتفسير المعاصر، قسَّمته لمسالك لا يخرج عنها، فكلمة"(سلك) السين واللام والكاف أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيء. يقال سلكت الطَّريقَ أَسلُكُه، وسَلكت الشيء في الشيء: أنفذْته"(١). و"مصدر سَلَك الشيء في الشيء فانْسَلَك أي أدخله فيه فدخل..قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الشعراء:٢٠٠] سَلَكَ الطريق إذا ذهب فيه"(٢). ومن التعريف اللغوي فمسلك التفسير هو الطريق الذي سلكه المفسر، ويكون راجعا لمنطلقات المفسر الذاتية والإضافية. والمراد بالمسلك هنا: المنطلق والدافع والسبيل والأسلوب المتخذ لغاية ما. **أما مسالك تفسير القرآن الكريم**: فهي منطلقات المفسر التي يسلكها عند إرادته لتفسير القرآن الكريم، وتشمل مخزونه الإيماني والعلمي، وطريقته ومنهجه ومقدار توجهه الذاتي. وبالاستقراء تنحصر مسالك التفسير بأربعة: المسلك الأصولي، والمسلك الفلسفي، والمسلك العلمي، والمسلك الفكري.

أولاً: المسلك الأصولي في التفسير: مركب إضاقي من كلمتين الأولى سبق توضيحها والثانية الأصولي من (أصل) وهو هنا: أساس الشيء"(٣)."والأصول جمع أصل وهو في اللغة..ما يُفتقر إليه، ولا يفتقر هو إلى غيره. وفي الشرع..ما يبنى عليه

(١) مقاييس الغة، ابن فارِس: (٣/٧٤).
(٢) مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر: (ص:٣٢٦). "السالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره فكان العلم الحاصل له عينا يأتي من ورود الشبهة المضلة له" التعريفات، الجرجاني: (ص:١٥٤).
(٣) "قال الكسائي في قولهم: "لا أصل له ولا فصل له": إن الأصل الحسب، والفصل اللسان. ويقال مجد أصيل" ينظر: مقاييس الغة، ابن فارِس: (١/١٠٩).

غيره ولا يبنى هو على غيره، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره"[١]. ومن المعنى اللغوي والاصطلاحي ينطلق المعنى المراد بالمسلك الأصولي في تفسير القرآن: فهو تفسير القرآن باعتبار نظمه ودلالة آياته على بعضها وبيان السنة لها، وما يحتف به وقت نزوله، ضمن غاية واحدة هي الكشف عن مراد الله عز وجل من كلامه. وبالأصل دون إسقاط غاية المفسر على التفسير ولو كانت صحيحة.

ثانياً: المسلك الفلسفي[٢] في التفسير: يعني تناول المفسر آيات القرآن بالتفسير وفق نظريات الفلاسفة اليونان، أو وفق نظرة الفلسفة الحرة وتبنيها لنظريات في الكون والإنسان.

ثالثاً: المسلك العلمي[٣] في التفسير: هو عمد المفسر في تفسيره للقرآن إلى حمل آياته على مكتشفات العلوم التجريبية.

رابعاً: المسلك الفكري: فالجزء الثاني من المركب اللفظي (الفكري) من"فكر الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا. ورجل فكير: كثير الفكر"[٤]. و"الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول"[٥]. و"الفكر وهو أدنى مراتب الكشف ويقابله الحدس"[٦]. وهو بذلك مجهود إنساني مرتبط بكل جوانب الإنسان الداخلية والمحيطة، ومنه فيمكننا أن نعرف **المسلك الفكري في تفسير القرآن**

---

(١) ينظر: التعريفات، الجرجاني: (ص:٤٥).

(٢) و"الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق ﷺ في قوله: (تخلقوا بأخلاق الله) أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات". مقاييس الغة، ابن فارِس: (٢١٦/١). والحديث المذكور باطل قال الشيخ الألباني: "لاأصل له". سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني: (٣٤٦/٣) رقم: ٢٨٢٢

(٣) "(علم) العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره" مقاييس الغة، ابن فارِس: (١٠٩/٤). و"العلم هو الإعتقاد الجازم المطابق للواقع". التعريفات، الجرجاني: (ص:١٩٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (٤٤٦/٤).

(٥) التعريفات، الجرجاني: (ص:٢١٧).

(٦) "الحدس سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب". التعريفات، الجرجاني: (ص:١١٢).

الكريم بأنه: استخدام المفسر لمعنى القرآن لمراده هو، ضمن منظومة فكرية ذاتية خاصة به لها أهداف ومقاصد ومنهج، وقد تكون دينية أو فلسفية أو سياسية أو علمية أو اجتماعية أو إصلاحية أو غير ذلك. ونتاجه التفسيري يوضع ليخدم أفكار واضعه فرداً كان أم جماعة، سواء أكان فكرا سياسيا، أو دينيا، أو اجتماعيا.

أما التفسير المعاصر: يقصد به في هذا البحث تناول المعاصرين لتفسير القرآن الكريم في القرن الحالي والقرنين قبله القرن العشرين[1] والقرن التاسع عشر[2]؛ لأنها متصلة متأثرة، والأخير منها امتداد متطور لسابقه، وظهر بها من تطورات في البحث في التفسير ما لم يكن فيما سبقها، من حيث منهج البحث، أو نتائجه وغاياته، ومآلاته. فكان التفسير المعاصر أكثر إشكالية من تفسير جميع القرون السابقة! لأنه أخذ كل ما أفرزه التاريخ الإسلامي وأضاف إليه ما ظهر بعد عصر التكنولوجيا من أفكار مرتبطة بالحضارة المعاصرة، وزاوج بينهما وفصل، حتى ظهر التفسير المعاصر بصورة لم تسبق في التاريخ، لتتمايز فيه مسالك للتفسير كلها؛ منها ما هو ممتد لما قبل الخلاف ودخول الفلسفة، ومنها ما ظهر بلازم الفلسفة وما أفرزته من توجهات، ومنها ما ثار على الموروث كاملاً أو جزءً منه، وسبق إيراد تصنيفها إلى: المسلك الأصولي، والمسلك الفلسفي، والمسلك العلمي، والمسلك الفكري وعليها مدار هذا البحث –وسيأتي بيانها وتفصيلها– لكن الذي كان له امتداد تأثيري هو المسلك الفكري العقلي الذاتي، فكما علا في القرون السالفة وأحدث، علا في حاضرنا وأحدث بصورة متماهية مع الحضارة الحديثة؛ ذلك لأنه مرتبط بذاتية الإنسان وفكره، والإنسان إن لم ينضبط لديه علم الغيب وأثره، علت لديه القوة العقلية وسلك لبثها مسالك فكرية ليكون له فسحة من إيجاد نفسه وإعلائها وإبقائها، وقد شرعت في إعداد بحث آخر متزامنا مع هذا البحث في المدرسة العقلية الحديثة في التفسير وارتباطها بالمسلك الفكري وامتدادها ليومنا هذا.

(١) القرن العشرون من الفترة الممتدة بين عامي (١٩٠٠-١٩٩٩).
(٢) القرن التاسع عشر هي الفترة الممتدة بين عامي (١٨٠١-١٩٠٠).

المبحث الأول: المسلك الأصولي في تفسير القرآن الكريم.

تمهيد: لا شك أن لتفسير القرآن الكريم أصولاً شرعية عامة رسَّخها النبي ﷺ من القرآن ذاته وتلقاها الصحابة الكرام، وأصولاً خاصة بعلم التفسير استنبطها العلماء بعد عصر التدوين من القرآن والسنة، فمنها ما هو أساسي يجب الأخذ به لمن يريد تفسير القرآن الكريم، ومنها ما هو اجتهاد يستحسن الأخذ به ويحتمل المخالفة أو المعارضة[(١)]، وعلى ذلك دارت تفاسير علماء تفسير القرآن الكريم المعتبرين[(٢)] منذ عصر التدوين إلى عصرنا الحالي، لكن في هذا العصر ظهرت أساليب مختلفة تناولت القرآن الكريم بالتفسير، فمنها ما لم يخالف التفسير المقبول للسابقين، ومنها ما خالفه، ومنها ما ظهر مُجدداً لمنهج فلسفي، أو فكري، كتفاسير المدرسة الإصلاحية[(٣)]، وهذه امتدت بأفكارها منذ أكثر من مئة عام ليومنا هذا، وبدأت تؤثر مباشرة في الناس، مما يظهر أهمية نقدها وتقويمها، وظهرت أفكارها بقوة من جديد في حاضرنا الآن[(٤)].

في هذا العصر امتد منهج السلف في تفسير القرآن إلينا، والمتلخص بتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بالمأثور، وأُلِّفَت كتب كثيرة في التفسير وفق هذا المنهج [(٥)]. لكن منذ توسع العالم الإسلامي بالفتوحات توسع معه الاتصال العلمي والمعرفي فتلقى

(١) والأصول المتفق عليها في تناول التفسير، التفسير بالذكر (قرآنا وسنة) وديوان العرب والقراءات وتاريخ نزول القرآن وحوادث نزوله، والأصول التي تقبل الخلاف فيها كأقوال الصحابة الموقوفة على اجتهاداتهم اذا تعارضت، وتفسيرات التابعين، وخلافات اللغة، وضوابط الاجتهاد المطلق في التفسير. ينظر: شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين؛ وينظر: حاشية مقدمة التفسير، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي؛ وينظر: أصول التفسير ومناهجه، فهد الرومي.

(٢) لا شك أنه وعبر عصور التأليف في التفسير ظهرت تفاسير أيديولوجية لجماعات وأحزاب وفرق تخدم توجهاتها بشطط بعيد عن منهج التفسير المعتبر، لذلك لم تبرز ككتب معتبرة في التفسير عند عموم المسلمين. وليس ذلك على الإطلاق.

(٣) سيأتي التعريف بها، وقد سارت في بعض شأنها حسب أصول التفسير المعتبرة، لكنها أضافت أساليب مختلف عليها أنتجت تفاسير لبعض الآيات لا تقبل لتعارضها مع القرآن أو السنة أو قاعدة شرعية عامة.

(٤) وممن ظهر أنه تبنى أفكارها وأشهرها من جديد في حاضرنا (عدنان إبراهيم) وقد أجريت دراسة لتفسيراته للقرآن الكريم، وبينت ارتباطه بالمسلك الفكري المتجه نحو المدرسة العقلية الحديثة والفكر الغربي.

(٥) سيأتي ذكر للتفاسير المعاصرة التي سارت على منهج السلف.

العلماء علوم الأمم الأخرى بالأخذ والنقد والتقويم والتأثر، وظهرت مناهج مختلطة متأثرة بعلوم تلك الأمم، من ذلك علوم اليونان من فلسفة وطبيعيات، فبعد ترجمة كتبهم للعربية دخلت الفلسفة إلى المناهج الإسلامية، وتأثر بها ممن تأثر بعض من تناول القرآن الكريم بالتفسير، كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وظهرت لهم تفاسير شابها مخالفة لمنهج السلف في تلقي العلم والمعرفة، حيث بدأ الإعلاء من العقل في مقابل الإغضاض من الخبر الصحيح، ومن وجوه التحايل للتقليل من شأن الخبر والمنقسم إلى متواتر وآحاد جعل الآحاد ظني الدلالة[1] ولو كان صحيحا وفق منهج المحدثين المعتبر، فالزمخشري (ت:٥٣٨) المفسر في كتابه الكشاف أخذ يقرر عقيدة المعتزلة بأصولها الخمسة[2]، ويبثها في تفسيره للقرآن من أوله لآخره ويتكلم بها عند كل سانحة، ويرد ما يخالفها من الأخبار، ولو كانت صحيحة، وتلك العقيدة مبنية على مقتضى العقل بقدر ما حصل إغضاض للنقل، وهذا منهج تأثر به الزمخشري باتباعه لفكر واصل بن عطاء(ت:١٣١) والجبائي(ت:٣٠٣) وهؤلاء أتوا بفكرهم بعد اطلاعهم على فلسفة اليونان. وكذلك الحال فيمن تأثر بأي فكر نجده يسقطه على القرآن الكريم ويريد أن يتخذ منه مصدراً لذلك الفكر ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]. وهذا المسلك يمثل توجهاً عاماً ممتداً مع حركة التفسير منذ عصر التدوين ليومنا هذا[3]، وهي مترافقة زمانا مع المنهج الأصولي المستقى من النبي ﷺ، ومع ذلك يجدر أن ننبه هنا أن إعمال العقل في استكناه مراد الله من الآيات لا يخرج عن المنهج المستقيم، إنما تغليب العقل أمام الخبر هو الذي يفتح باب الخلل، كذا الاتكاء على الأخبار الضعيفة وروايات الأمم الأخرى وتغييب العقل هو خلل أيضا، كذلك إقحام العقل بالغيبيات وما لم

(١) وهذه مسألة نظرية، لا يخدمها واقع الأخبار، فأحاديث النبي ﷺ منها ما ينطبق عليه وصف الآحاد لكن الأمة عملت به وقبلته حتى في مسائل الإيمان والغيبيات، كحديث (إنما الأعمال بالنيات..) أخرجه البخاري، عن عمر بن الخطاب، كتاب بدء الوحي(١/٢رقم:١)، لذلك جاء هذا التقسيم ليستخدم من بعضهم كحيلة عقلية لتقديم إيجاب العقل على الخبر ولو صح!.

(٢) وهذه الأصول هي: أولاً: التوحيد. ثانياً: العدل، ثالثاً: الوعد والوعيد، رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خامساً: المنزلة بين المنزلتين. ينظر: الزمخشري كشاف في مواضع عديدة.

(٣) بينت هذه المسألة في كتاب مستقل بعنوان: التوجه الفكري في التراث التفسيري للقرآن الكريم "دراسة نقدية في اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين".

يكلف بتحصيله هو تجنٍ على هذا العقل الضعيف ووضعه في غير موضعه ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]. وأعجب المسالك المتلبسة بالعلم مسلك التعصب لفرقة خلت! كأن يريد المعاصر أن يحيي الخلاف الذي هزمت فيه الفرقة التي نما نفسه إليها؛ لينتصر على مخالفيه! فهذه المغالبة العلم بريء منها وإقحامه فيها من جهالات الإنسان وجاهليته ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤١]. إنما التاريخ للاعتبار بمن مضى، أما الاتباع والتأسي والاقتداء هو بالنبي ﷺ، ولمن أمر النبي ﷺ بالتأسي بهم، ولمن أحسن اتباعه ﷺ منهم؛ لأن ذلك مظنة للقرب من الحق، أو موافقته.

وهكذا ظهرت المناهج المختلطة في تناول التفسير لتشكل في هذا العصر مع المنهج الأثري الممتد أصولا يعتمد عليها المعاصرون في تفاسيرهم للقرآن الكريم، وبذلك أمكن تحديد مسالك المعاصرين في تفسير القرآن الكريم باستقراء مؤلفاتهم والنظر فيها ثم تصنيفها، إلى أربعة مسالك رئيسية –كما جاء سابقا–، الأول: المسلك الأصولي في تفسير القرآن الكريم، والثاني: المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم، والثالث: المسلك العلمي في تفسير القرآن الكريم، والرابع: المسلك الفكري في تفسير القرآن الكريم.

وهذه التسمية (المسلك الأصولي) يقصد بها أن يرجع المفسر للأصول العلمية والشرعية التي تحقق مفهوم التفسير، واتخاذ المفسر المسلك الأصولي في تفسيره، بتحديد غايته قبلا، ثم منهجه وهو القصد لمراد الله عز وجل من تفسير القرآن، بالقرآن وبالسنة –هذان أصلان مصدرهما الوحي– وباللغة العربية بعلومها جميعاً – لكن من داخل نظم القرآن وهو الأصل الثالث–؛ فالقرآن نزل بها﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[الشعراء:١٩٥]. فبيانه بمعرفة بيانها، وألسنتها وتمييز أصواتها، ثم برتبة ثانية معرفة وقائع زمن نزوله وتأريخها. فالمسلك الأصولي في تفسير القرآن: هو تفسير القرآن باعتبار نظمه ودلالة آياته على بعضها وبيان السنة لها، وما يحتف به وقت نزوله، ضمن غاية واحدة هي الكشف عن مراد الله عز وجل من كلامه. دون إسقاط غاية المفسر ولو كانت صحيحة، لكن لم يتقيد بذلك جل من تناولوا القرآن بالتفسير في إنتاجهم التفسيري، مما أظهر الحاجة للتجديد في المسلك الأصولي. وسأعرض هذا المسلك في ثلاثة بنود: أولاً: استمداد المسلك الأصولي وامتداده وإشكاليته عرض

ومناقشة. ثانياً: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الأصولي. ثالثاً: المسلك الأصولي في التفسير ضبط المفهوم والضوابط في إنتاج المفسر.

المطلب الأول: استمداد المسلك الأصولي وامتداده وإشكاليته عرض ومناقشة.

هذا المسلك الأصولي سلكه النبي ﷺ وشواهده كل ما ورد عن النبي ﷺ من تفسير، وهو مسلك الصحابة الكرام، والتابعين[1] وتابعيهم. ثم هو ممتد إلى يومنا هذا، إذا هذا المسلك مستمد منه ﷺ، لكن طرأ مع امتداده بعد عصر التدوين تغيُّر وسَّعَ مفهومهُ، وعليه بقي مفهوم التفسير الأصولي واسعاً، اتسع به مسلك التفسير ليدخل في جانب تاريخ القرآن ماليس بلازم لتفسير القرآن، كالإسرائيليات كما ظهر عند مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ) "الذي حشا تفسيره بالقصص المتناقضة بما هو موجود عند اليهود والنصارى"[2]، واختلافات اللغة، ثم بعد عصر التدوين الاختلافات الفقهية والأصولية، وكان هذا الاتساع في المفهوم باباً لدخول مسالك أخرى لتفسير القرآن غير المسلك الأصولي -سيأتي بيانها- استديم المسلك الأصولي لا شك، لكن لاتساع هذا المسلك من جهة بعض الجوانب، سمي هامش التفسير تفسيراً، فدخل لازم الفهم في المفهوم، ومنه احتجنا لضبط مفهوم التفسير وضبط أصوله وانضباط المفسر بها[3]. كانت عناية العلماء في أول زمن التدوين بالرواية ظاهرة؛ ذلك لصيانة العلم من

(١) "كثرت في عهد التابعين رواية الإسرائيليات؛ لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن الكريم، من أحداث يهودية أو نصرانية، أو غيرها..". التفسير والمفسرون، محمد حسن الذهبي: (ص: ٢٨).

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: (ص: ٢٨). "وقال ابن حبان البستي: مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم". وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان: (٥/٢٥٧). "وفتح الباب للعصور بعدهم للتوسع أكثر في هذا الأمر حتى امتلأت كتبهم التي قصدوها لتفسير القرآن بالخرافات! فصد هذا عن الوثوق بكتبهم ولو كان فيها روايات صحيحة، وأبرز هذه الكتب: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي النيسابوري (ت:٤٢٧) ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (ت:٧٤١)". ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: (٢٨-٢٩).

(٣) سيأتي في آخر المطلب -إن شاء الله- ضبط للمفهوم والمنهج ولازم المفسر، للمسلك الأصولي.

الوضاعين، والمدلسين، بسبب الاختلاف الحاصل بدخول الفلسفة والاعتزال والتشيع إلى الأمة، فأثر ذلك على تدوين التفسير، لا شك أن تفسير الطبري (ت:٣١٠هـ) مخزن لتفسير السلف وهو قيمة التفسير بالمأثور، لكنه يمثل اتجاها نحو الرواية يبتعد عن ذات تفسير القرآن إلى لازم تفسيره، فروايات التفسير ليست هي التفسير ذاته، بل هي طريقه وهامشه المهم. وهذا التفسير وغيره من التفاسير لم تخرج عن المنهج الأصولي، لكنها جمعت مع غاية التفسير غايات أخرى، فغاية التفسير بيان مراد الله عز وجل من كلامه سبحانه، لا مراد المفسر من ربط الرواية أو اللغة أو الحكم بمعنى القرآن، مما أورث تراثا علميا فقهيا ضخما -مهما لا شك- وهو تراث للأمة؛ لكن لم يكن مقصد تفسير القرآن لهذه الأمور من سرد روايات، أو لغويات، أو خلافات فقهية وآراء وتحليلات. فكتاب الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن هو أضخم كتاب في مسلك الرواية، ثم من بعده جملة من الكتب عُدت مصادرا لهذا المسلك برزت فيها مسائل أخرى، فعند القرطبي(ت:٦٧١) في الجامع لأحكام القرآن مسائل الفقه واختلافات الآراء[١]. وعند أبي حيان(ت:٧٤٥) في البحر المحيط، ظهر الاستغراق في مسائل اللغة وخلافاتها[٢]. يقول ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ): "وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين؛ لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية. فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين؛ فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون"[٣]. ويمكن تقسيم استعمال اللغة عند المفسرين في تفاسيرهم إلى قسمين **الأول خارجي**: المباحث التي من خارج النص القرآني. والتعامل معها باعتدال كخوادم لمعرفه مراد الله عز وجل، وعلم النحو،

(١) قال الذهبي: "على المفسِّر أيضاً أن يتجنب كل ما يُعتبر من قبيل الحشو في التفسير كالخوض في ذكر علل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه، ودلائل مسائل الفقه، ودلائل مسائل أصول الدين، فإن كل ذلك مقرر في تآليف هذه العلوم، وإنما يؤخذ ذلك مسلَّماً في علم التفسير دون استدلال عليه". التفسير والمفسرون، الذهبي: (١٩٨/١).

(٢) اشكالية اللغة باصطلاحاتها ومدلولاتها حسب الزمان والمكان، والقرآن الكريم وتفسيره، وهنا تظهر أيديولوجيا اللغة في إسقاط مفرزاتها على القرآن ليفسر وفقها، فيخرج عن مراد الله منه. قال الذهبي:" فعلى المدقِّق أن يُفسِّر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه،..وقد قالوا: إن القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سيق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذى جاء له الكتاب بجملته" التفسير والمفسرون، الذهبي: (١٩٨/١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (٩٥/١٥).

والأصوات، والصرف، ودلالة المفردات. **والثاني داخلي:** وهو موقع اللغة في القرآن الكريم، بدراسة كلمات القرآن وحروفه من داخل التركيب القرآني، وهو ما سمي بنَظْم القرآن الكريم، بمعنى استكناه دلالة الحروف والكلمات القرآنية في مكانها وترتيبها في نظمها، للاستدلال بها على تصوير مراد الله من المعنى القرآني بدقة. ويتحقق ذلك بقدر فهم المفسر لهذه الأصول من جهة، ولمفهوم التفسير من جهة أخرى. ويكون قربه من المسلك الأصولي المنضبط، ويندرج في النظم جميع مستويات اللغة من المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي والنحوي البلاغي والسياقي والفكري.

إن إشكالية التفرعات على المسلك الأصولي هو تغليب التوجه والمبالغة فيه، فجعل التفسير روايات أو جعله خلافات فقهية، أو مذاهب لغوية، يعد توجها ذاتيا من المفسر؛ لأنه برع في علم معين فأسقطه على التفسير، أو رأى لذلك دوافعا اقتضته مرحلة تاريخية مثلا. يقول السيوطي: "ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه؛ فالنحوي ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر.."[(١)].

ثم يبالغون في نسبة مسلكهم إلى النبي ﷺ أو الصحابة الكرام، بصورته التي يريدونها، كقولهم إن أول من فسر القرآن تفسيراً فقهيا هو النبي ﷺ[(٢)]، ثم الصحابة، كذا كل أهل فن يقولون، وليسوا مخطئين ولا مصيبين، حيث إن النبي ﷺ فسر آيات قرآنية لها مقاصد مختلفة بما يقتضيه حالها وحال من نزلت فيهم، ولم يتكلف في إبراز فقهها أو لغتها، فعندما يفسر ﷺ من الآية حكما، ذلك لأن الآية ظاهر مرادها في الأحكام، وهكذا مع غير الفقه.. دون أن نسمي تفسيره ﷺ فقهيا أو لغويا..إلخ. وقد تنبه المعاصرون لإشكالية تفرعات المسلك الأصولي هذه، ونقدوها بموضوعية، ودرست مناهج كل المفسرين بنقد موضوعي وأظهرت فيها هذه الجوانب.

وممن نقد بعض الموروث التفسيري محمد عبده (ت:١٩٠٥م) وتلميذه محمد رشيد في مقدمة تفسير المنار، حيث أشارا إلى بُعد التفسير عن مقاصد القرآن العالية وانشغال المفسرين عنها: "بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: (٢٤٣/٤).
(٢) ينظر: محمد قاسم المنسي في التفسير الفقهي، ط١،١٩٩٦م مكتبة الشباب، مصر.

ومصطلحات البيان أو بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض.."[(١)]. ثم يقول محمد عبده وهو يصف هذا النوع من التفسير: "جاف مبعد عن الله وكتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما ترمى إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية. قال: وهذا لا ينبغي أن يُسمى تفسيراً. وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون، كالنحو، والمعاني، وغيرهما"[(٢)].

ومع ذلك فنقد بعض جوانب التراث أمر حساس؛ لأن تراثنا المجيد يسعى له من يريد تقويض ركائزه العريضة بإثارة الشبه الواهية، لذلك اتخذ بعض المدافعين مسلك القداسة للتراث تحصينا له من أولئك! والبحث العلمي الذي يرجى منه تنامي المعرفة، يعرض المسائل بحياد تام. ومن وسائل بعض الحريصين على التراث أيضاً، قولهم إن تفسير القرآن انتهى أمره وفيما قدم السابقون غنية! وهذا ليس صوابا –دون ريب– من وجوه، منها: أن الاجتهاد على النص لا يقوم مقام النص، والنص الذي قائله رب العالمين لا يمكن أن يحيط بإدراك معناه البشر مجتمعين. ومنها: أن هذه دعوة لغلق باب العلم وهي مناقضه لطبيعة الإنسان المفطور على التفكر، وليس أعظم من أن يتفكر في كلام ربه، أيضا هي مناقضه لطبيعة العلم المبني على البحث المستمر والذي لا يسلم لأحد بانتهاء المعرفة لديه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥]. ومن ذلك أيضا: أن هناك تفسيرات معاصرة لم يأت بها الأولون، وهي مع المنهج الأصولي النبوي متسقة، ومثرية للعلم.

ويتكلم الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ) أيضا عما أسماه باللَّون الشخصى للتفسير المأثور فيقول: "والمتصدي للتفسير النقلى إنما يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه، متعلقة به، فيقصد إلى ما يتبادر لذهنه من معناها، ثم تدفعه الفكرة العامة فيها إلى أن يصل بين الآية وما يروى حولها في اطمئنان، وبهذا الاطمئنان، يتأثر نفسياً وعقلياً، حينما يقبل مروياً ويعنى به، أو يرفض مروياً حين لا يرتاح إليه" [(٣)]. "وليس أدل على نَهَمِ هؤلاء القوم بكثرة النقل من أن بعضهم ذكر فى تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] عشرة

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: (٨/١).
(٢) المصدر السابق؛ وينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: (٤٠٧/٢).
(٣) التفسير والمفسرون، الذهبي: (١١٣/١-١١٤).

أقوال مع أن تفسيرها باليهود والنصارى، هو الوارد عن رسول الله ﷺ[(١)] وعن جميع الصحابة والتابعين، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسِّرين"[(٢)].

وبيدي ابن العثيمين (ت:١٤٢١هـ) وجهة نظرة في كتب التفسير المأثور برؤية نقدية موضوعية فيقول: "كتب التفسير-الحقيقة- تختلف مشاربها، فتفسير ابن كثير من أحسن التفاسير، لكنه لا يعتني كثيراً باللغة العربية يعني: بالبلاغة وأوجه الإعراب وما أشبه ذلك، وتفسير ابن جرير وهو أصل تفسير ابن كثير أيضاً مطول، وفي الآثار الواردة فيه ما هو غث وسمين، فيحتاج إلى طالب علم يكون له معرفة بالرجال والأسانيد"[(٣)].

والمسألة ظاهرة لكن أردت بيان أنها معلومة للمعاصرين وتكلموا بإسهاب فيها، رغم وجود من يريد أن يضفي على الموروث التفسيري قداسة شرعية كقداسة القرآن الكريم، لصد هجمات أصحاب المسلك الفكري-سيأتي بيان ذلك- وهجمات المستشرقين. لكن الوصف الموضوعي يقتضي التوازن في عرض المسألة والسعي لحل جذري علمي أصيل، ينقد الموروث بمنهج أصيل، ويغلق الباب على النقد الموجه التأثيري المتوجه نحو ذاتية الإنسان بمسلكه الفكري، والذي ظهر في هذا العصر واضحا. وأثر هذا الأمر في المسلك الأصولي المعاصر حيث فسر فريق القرآن على طريقة السابقين دون الالتفات للمآخذ التي سبق عرضها، وفريق تنبه وأراد تهذيب التراث أو وضعَ تفسيراً أصولياً انتقائياً، وفريق تأثر قليلا بالمسالك الفكرية. وهكذا تتمازج الأمور مادام مفهوم التفسير يحتاج لضبط؛ لتوضع ضوابط يلزمها المفسر، كما لزم المحَدِّثُ مفهوم علمه وأصوله. ووصفه في عصرنا يمكن أن نجعله من ثلاثة أقسام، **الأول**: التأليف في تفسير القرآن بالجمع بين الأصول الثلاثة (القرآن والسنة واللغة) على طريقة السابقين دون تغيير،

---

(١) والحديث أخرجه الترمذي: "عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال فذكر الحديث بطوله". صحيح الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ٢ ومن سورة فاتحة الكتاب: (٥/٢٠٤) رقم: ٢٩٥٤. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) التفسير والمفسرون، الذهبي: (١/١٠٧).

(٣) نور على الدرب، (شريط : ٢٦٩)
https://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo&audioid=٣١١٢٧٥

كتفسير الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ) فتح القدير. **الثاني**: التأليف في تفسير القرآن بالجمع بين الأصول الثلاثة (القرآن والسنة واللغة) على طريقة السابقين مع التجديد في منهج العرض والتقسيم، كتفسير الشنقيطي(ت:١٣٩٣هـ) أضواء البيان. **الثالث**: التأليف في التفسير بالخلط بين الأصول الثلاثة وأساليب معاصرة ظهرت تسقط الآيات على الواقع والمجتمع. كتفسير محمد رشيد رضا(ت:١٣٥٤هـ) في المنار. وهذا التقسيم للإشارة إلى أن التقدم التاريخي يؤثر في المنهج الواحد، تأثيراً منسجماً معه، وقد يحوره إلى منهج آخر بإدخال ما قد يناقضه أو لا يتوافق معه.

المطلب الثاني: عرض الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الأصولي.

والغاية من هذا العرض إظهار اتصال المسلك الأصولي بعصرنا الحاضر بقوة وبتأثير كبير، ففي هذا العصر دُرِسَت مناهج المفسرين ابتداء من الطبري في جامع البيان إلى ابن عاشور في التحرير والتنوير، وحتى من بعده من المعاصرين، وقسمت تفاسير المفسرين بما غلب عليها من أسلوب، وهذه التقسيمات هي: التفسير التحليلي[(١)]، والتفسير الفقهي، والتفسير الإجمالي[(٢)]. فتلك الدراسات أتاحت استحداث أساليب أخرى تناولت القرآن الكريم بالتفسير دون أن تخرج عن المنهج الأصولي الذي سبق وصفه وعرضه ومناقشته، والأساليب المستحدثة ضمن المسلك الأصولي هي: التفسير الموضوعي، والتفسير البياني. وسارت تفاسير المعاصرين الذين التزموا المنهج الأصولي على أساليب السابقين جامعين معه أساليبهم، فأصبح البحث التفسيري في إطار هذه المناهج جميعاً وهي: التفسير الإجمالي، والتفسير التحليلي، والتفسير الفقهي، والتفسير الموضوعي، والتفسير البياني، ويمكن أن نعرض مجمل النتاج التفسيري ضمن هذه الأساليب. وترافقت إشكاليات الرواية واللغة والتوجه الفقهي مع التفاسير الأصولية المعاصرة، واستحدثت توجهات أخرى كالاتجاه الأدبي، وامتدت الخلافات العقدية كالفكر الأشعري.

---

(١) الكلام عن السورة ومكانتها بين السور وفضلها، وسبب نزولها ثم تحليل الآية بكلماتها وحروف معانيها وجملها تحليلا لغويا، وفقهيا، ثم كل ما يقال فيها والخلاف في معناها بين الفرق والردود عليهم.

(٢) يتناول مدلول الآية والمراد بها مباشرة، دون تحليل كلماتها ومواقعها في للغة وما استدل عليها الفقهاء. ينظر: عرض لأبرز الكتب المطبوعة في التفسير. ملتقى أهل التفسير. https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٣٣٩٦٢٥

فمن المؤلفات المعاصرة في التفسير الإجمالي؛ الذي من سماته أنه يأتي على المعنى المقصود من الآية. ويهمل ذكر الخلاف والقصص غير الموثوق بها والإسرائيليات، وعدم ذكر القراءات والمسائل اللغوية، إلا نادراً، وتفسير كل آية على حدة مع مراعاة عدم التكرار. فمنها: كفاية ضعفاء السودان لعبدالله فودي(ت١٢٥٠)[١]، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي (ت١٣١٦هـ)، وتفسير المراغي (ت:١٣٧١)، وصفوة العرفان لمحمد فريد وجدي(ت:١٣٧٣)، وتفسير السعدي(ت:١٣٧٦)[٢] واسمه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان وهو تفسير عقدي، فسر الآيات تفسيراً بلاغياً عقدياً على أقسام التوحيد: الربوبية والألوهية وتوحيد الأسماء والصفات. وتوفيق الرحمن في دروس القرآن لفيصل بن عبد العزيز آل مبارك(ت:١٣٧٦)، وعمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير أحمد محمد شاكر(ت:١٣٧٧)، والمقتطف من عيون التفاسير لمصطفى المنصوري (ت١٣٩٠هـ)، والتفسير الوجيز لكتاب الله العزيز أسامة عبد الحكيم الرفاعي، وتيسير العلي القدير في اختصار تفسير ابن كثير محمد نسيب الرفاعي(ت:١٤١٢)، والوجيز في تفسير القرآن الكريم شوقي ضيف(ت:١٤٢٢)، وزبدة التفسير وهو مختصر من تفسير فتح القدير للشوكاني، والقبس المنير مختصر تفسير ابن كثير لمحمد الأشقر (ت:١٤٣٠) وتفسير القرآن للناشئين لعبد الحليم عويس(ت:١٤٣٣)، والتفسير الميسر[٣] جاء منهج تفسير الآيات بتقديم ما صح من التفسير بالمأثور على غيره من أنواع التفسير، والاكتفاء بالقول الصحيح أو الراجح في مواطن الاختلاف. وإبراز مقاصد الشريعة أثناء التفسير. وإيراد معنى الآية مباشرةً دون الحاجة إلى الأخبار إلا عند الضرورة. ويكون التفسير بالقدر الذي تتسع له حاشية المصحف المدني. والمعين على تدبر الكتاب المبين لمجد مكي، والكافي في تفسير الآيات وإيضاح القراءات لعبدالعزيز رباح وبشير جويجاتي، واليسير في

(١) هذا الكتاب اقتصر فيه المؤلف على تفسير وجيز سهل ميسر على رواية ورش عن نافع، وعلى قول مالك وأصحابه في المسائل الفقهية، وأخلاه من الاستطرادات. وعبارته سهلة ميسرة، وقد طبع على حاشية المصحف برواية ورش. ينظر المصدر السابق.

(٢) ينظر المصدر السابق.

(٣) هذا التفسير لمجموعة من المؤلفين في مجمع الملك فهد. والغرض من تأليف الكتاب جعله أساسًا لما يطبعه المجمع من ترجمات معاني القرآن إلى لغات الشعوب الإسلامية الأخرى، تجنب ذكر المصطلحات التي يصعب ترجمتها فيما بعد. المصدر السابق.

اختصار تفسير ابن كثير[١]، المنتخب في تفسير القرآن الكريم[٢]. والمختصر الجامع في بيان وجوه التفسير وأسباب التنزيل لعبد السلام محمد، والتفسير المنهجي[٣]. والتفسير الميسر لأبي بكر جابر الجزائري(ت:١٤٣٩)[٤]، والدر النثير في اختصار تفسير الحافظ ابن كثير محمد موسى آل نصر(ت:١٤٣٩)، وحسن التحرير في تهذيب تفسير ابن كثير لمحمد الحمود النجدي، ومختصر تفسير ابن كثير محمد كريم راجح، والمصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير[٥]، وفتح القدير تهذيب تفسير ابن كثير لمحمد أحمد كنعان، والتفسير الصحيح(موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) حكمت بشير ياسين، ويتميز بتتبعه للصحيح منه.

ومن المؤلفات المعاصرة في التفسير التحليلي: البحر المديد لابن عجيبة الحيسني (ت: ١٢٢٤هـ)، وفتح القدير الشوكاني(١٢٥٠هـ) والجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، وتفسير الآلوسى(١٢٧٠هـ) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وفتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان القنوجي(ت:١٣٠٧)، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

(١) اختصر التفسير ثلاثة من الباحثين هم صلاح محمد، ومحمد الشنقيطي، وخالد فوزي، تحت إشراف صالح ابن حميد.

(٢) ألف الكتاب لجنة القرآن والسنة بوزارة الشؤون الإسلامية المصرية، وطبع على حاشية المصحف وهو بيان إجمالي لآيات القرآن.

(٣) ألفه عدد من أساتذة التفسير في الأردن، وهو مقسم إلى دروس تصلح أن تدرس في المعاهد لسهولة عبارتها ووضوح تنظيمها، فيبين أولًا المفردات اللغوية ثم التفسير الإجمالي للآيات تفسيرًا موجزًا بعبارة سهلة. ينظر المصدر السابق.

(٤) لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر المعروف بأبي بكر الجزائري. وقد انتهى من تأليف الكتاب عام ١٤٠٧ هـ وطبع الكتاب في خمسة مجلدات. قال الشيخ بأن الغرض من تأليفه هذا الكتاب هو محاولته مراعاة أحوال المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى. اعتمد الشيخ في تفسيره على تفسير الطبري وتفسير الجلالين وتفسير المراغي وتفسير السعدي..وحاول الجمع بين المعنى المراد واللفظ القريب من الأذهان في العصر الحاضر..ابتعد عن الاختلافات والتزم بما رجحه الطبري عند اختلاف المفسرين..وخلى الكتاب من المسائل النحوية والصرفية والبلاغية ومن القراءات إلا ما يرى أنه يؤثر في المعنى. اقتصر على الأحاديث الصحيحة والحسنة. ينظر المصدر السابق.

(٥) هذا التهذيب لمجموعة باحثين بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، وهو اختصار جيد لابن كثير، فيه إبقاء لكلام ابن كثير بشكل كبير، وفيه اكتفاء بأصح الروايات، وتخريج الأحاديث في الحاشية. ينظر المصدر السابق.

(ت:١٣٣٩)، وتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(١٣٩٣هـ) [(١)]. وموسوعة التفسير المأثور[(٢)]. والتفسير الكاشف وآلاء الرحمن في تفسير القرآن لمحمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠). وتفسير الشعراوي محمد متولي (ت:١٤١٩)، والتفسير المنير لوهبة الزحيلى (ت:١٤٣٦)، والتفسير الحديث: محمد عزة دروزة(ت:١٤٠٤)، والتفسير الشامل للقرآن الكريم لأمير عبد العزيز. وعونُ الرَّحمنِ في تفسيرِ القُرآنِ وبَيانِ ما فيه من الهداياتِ والفوائِدِ والأحكامِ لسليمان بن إبراهيم.

ومن المؤلفات المعاصرة فى التفسير الفقهى: هداية الحيران في بعض أحكام تتعلق بالقرآن لعبد الله بن محمد المغربي ثم القاهري(ت:١٠٢٧هـ)، وأزهار الفلاة في آية قصر الصلاة لمرعى بن يوسف بن أبي بكر الكرمى(ت:١٠٣٣)، والتفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية لأحمد بن أبي سعيد الحنفى الميهوي (ت:١١٣٠)، ونيل المرام في تفسير آيات الأحكام لمحمد صديق حسن خان (ت:١٣٠٧)، وتفسير آيات الأحكام، لمحمد على السايس(ت:١٣٩٦)، وتفسير آيات الأحكام لأبومحمد بن خليل (ت:١٤٢٠)، وأحكام القرآن الكريم لمحمد العثيمين(ت:١٤٢١)، وتفسير آيات الأحكام للقصبى محمود زلط (ت:١٤٣٥)، وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام لمحمد علي جميل، والتفسير والبيان لأحكام القرآن لعبد العزيز مرزوق.

ومن المؤلفات المعاصرة فى التفسير الموضوعى: معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية، والموسوعة القرآنية لإبراهيم الأبياري(ت:١٤١٤)، ونحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم محمد الغزالي (ت:١٤١٦)، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي(ت:١٤١٦) وتفصيل آيات القرآن الكريم لجول لابوم ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، والمستدرك لادوار مونتيه ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى، ونماذج من التفسير الموضوعي محمد نبيل غنايم، وتبويب آي القران الكريم من الناحية الموضوعية لأحمد إبراهيم مهنا، والمعجم الموضوعى لآيات القرآن الكريم لصبحي عبد الرؤوف عصر، والفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم لمحمد مصطفى محمد،

(١) هذا التفسير مع تأخر زمن مؤلفه موسوعة علمية في التفسير تضاهي تفاسير المتقدمين غزارة وعلماً وتحقيقاً وسعة، ومؤلفه عالم مدقق ذكي بارع، توجه لتأليفه بعد أن استكمل أدوات التفسير فجاء تفسيره مرآةً لعلمه الواسع. ينظر للزيادة: المصدر السابق.

(٢) فريق العمل ٣٥باحثا. وهو مشروع لجمع التراث التفسيرى من بعض كتب التفسير فى مؤلف واحد، أي جمع لأحاديث التفسير عن النبي ﷺ والآثار عنه وعن الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهو جمع لباحثين في مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي.

وتصنيف آيات القران الكريم لمحمد محمود إسماعيل، ودراسات في التفسير الموضوعى للقرآن الكريم لزاهر بن عواض الألمعي، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم لسميح عاطف الزين، وموسوعة التفسير الموضوعي[1].

ومن المؤلفات المعاصرة فى التفسير البيانى: مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير ومن هدى القرآن لأمين الخولي(ت:١٣٨٥)، والاعجاز البياني للقرآن عائشة عبد الرحمن(ت:١٤١٩)[2]، ومعاني النحو والتعبير القرآني ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني وأسئلة بيانية في القرآن الكريم وقبسات من البيان القرآني وعلى طريق التفسير البياني كلها لفاضل صالح السامرائي، ومن أسرار التعبير القرآني في سورة الأحزاب، وآل حم: الشورى، الزخرف، الدخان: دراسة في أسرار البيان وآل حم: الجاثية، الأحقاف: دراسة في أسرار البيان وآل حم غافر- فصلت: دراسة في أسرار البيان كلها لمحمد أبو موسى، ومن بلاغة القرآن لأحمد أحمد بدوي.

ويعد التفسير البياني الذي يريد أن يكون تفسير القرآن من داخل نظمه، من التجديد في التفسير وهو ليس ابتكاراً معاصراً، بل هو راجع إلى جهود السابقين في علم إعجاز القرآن الكريم، وعلى رأسهم الباقلاني والجرجاني والخطابي، الذين تحدثوا عن نظم القرآن الكريم، ورأوا أن تفسيره يجب أن يكون بمراعاة نظمه، وقد طبق الزمخشري ذلك في الكشاف لكن لم يسلم تفسيره من توجهه الفكري الاعتزالي[3]. وممن له تفسيرات في هذا الجانب العظيم من الأحياء: محمد أبو موسى وفاضل السامرائي.

المطلب الثالث: المسلك الأصولي في التفسير تحديد المفهوم والضوابط في إنتاج المفسر المعاصر.

المسألة الأولى: إشكالية تنامي مفهوم التفسير وضوابطه، بين التراث والحاضر.

---

(١) فريق العمل (١٦٦)باحثا، وبإشراف (١٠٠) مُحكّم، وبرعاية مركز تفسير للدراسات القرآنية.

(٢) لكن المدرسة البيانية المعاصرة والتي رائدها أمين الخولي وزوجته بنت الشاطيء مالت إلى الاتجاه اللغوي النظري أكثر! حتى نتج من مدرستهم من قال بأسطورة القصة القرآنية! وتأثرت بالفكر الغربي الاستشراقي، وأسست لعدد من أفكار التوجه الحداثي في التفسير! لذا لا يعد هذا تجديداً في التفسير؛ لأنه عاد على الأصل بشيء من المخالفة أو النقض. -وسيأتي الكلام عن ذلك في مبحث المسلك الفكري-.

(٣) وممن اعتنى بذلك من المفسرين ابن عادل(ت:٧٧٥) وابو السعود(ت:٩٨٢) ومن المعاصرين(١٣٩٣هـ) ابن عاشور.

إن النتاج التفسيري الكبير التراثي والمعاصر، والذي صنفناه في مسالك متنوعة[1] منها المسلك الأصولي تظهر حاجة ماسة لوضع نظرية أصولية، تضبط مفهوم التفسير وتحدد ضوابطه، فيتجه النتاج التفسيري نحو الهدف الصحيح من تفسير القرآن بتركيز كبير، ويحكم على ما يخالفه بما يناسبه، يعد ذلك هدفا مهما جداً في هذا العصر[2]، ففيه حل لإشكالات التفسير المتقدمة والمتجددة، ولإشكالات منهج المفسر عند إرادته للتفسير، وثمرة كل ذلك ستظهر في الإنتاج التفسيري القادم، فالمفهوم و"الأصول والمنهج والمفسر. أي خلل في العلاقة بينها، يؤدي حتما إلى خلل في العمل التفسيري قد تتباين مظاهره بحسب نوع الخلل ومداه"[3]. ففي أصول التفسير لا شك أن جهود المتقدمين أثمرت ما اقتضته المرحلة الزمنية، فالعلوم تدون بقدر الحاجة إليها بعد أن تحرك الدواعي لوجودها، لكن تتجدد الحاجة لضبط أصول التفسير في كل مرحلة زمنية. كان أول من أُثرت له محاولة في مطلع القرن الثالث لضبط أصول للتفسير بقواعد النحو أبي النصر أحمد بن محمد السمرقندي (ت:٤٢٠هـ) في كتابه: المدْخَل لِعِلْم تَفْسِير كِتَابِ اللهِ، ثم إلى مطلع القرن السابع عبد الرحمن الحرالي (ت:٦٣٨هـ) لضبطها بأصول الفقه في كتاب: مفتاح اللُّبِّ المقفل لفهم القرآن المنزّل، وكتاب: قوانين تتنزّل في علم التفسير، ثم أبي سليمان الطّوفي (ت:٧١٠هـ) في كتابه: الْإِكْسِير في قواعد التفسير. ثم ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ) في: مقدمة في أصول التفسير، ثم ابن الأكفاني (ت: ٧٤٨هـ) في كتابه: نغب الطائر من البحر الزاخر، ثم الكافيجي (ت: ٨٧٩هـ) في كتاب: التيسير في قواعد علم التفسير، وفي كتاب السيوطي (ت:٩١١هـ) التحبير في علم التفسير، شيء من التقعيد لأصول التفسير. وفي عصرنا الحاضر ألف عبد الرحمن السعدي (ت:١٣٧٦هـ) القواعد الحسان في تفسير القرآن وشرحها ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ)، ثم تعددت الأبحاث التي تدور في فلك السابقين فمنها: دراسات في أصول التفسير لمحسن عبد الحميد (ت:١٤٣٥هـ)، وأصول التفسير ومناهجه لفهد بن عبد الرحمن.

---

(١) سيأتي بيانها تباعا وهي بعد المسلك الأصولي، المسلك الفلسفي، والمسلك العلمي، والمسلك الفكري.

(٢) يشير كثير من الباحثين لضرورة وجود نظرية في التفسير، وهذا من منطلق دراسة الواقع التفسيري.

(٣) إشكالات في منهج التفسير فريدة زمرد، الملتقى الفكري للإبداع: http://almultaka.org/site.php?id=٧٤٠

ثم مع توسع التفسير في مناهج حادثة نتجت من عدم وجود مسلك أصولي حديث منضبط للتفسير يضبط المفهوم والمنهج والمفسر(١)، توسع متخذي المسالك الأخرى: الفلسفية، والعلمية، والفكرية التي هي أكبر مدخل للإسقاط الإنساني على القرآن الكريم، إلى حد الطغيان على غاية التفسير وهي الكشف عن مراد الله تعالى، وبيان معنى كلامه الذي يريده هو سبحانه، لينتقل التفسير للبحث عن مراد المفسر، ثم فكر المفسر! ثم الإسفاف بأن يقصد التفسير للبحث عن مراد الإنسان مطلقا، بما عرف بالأنسنة(٢) المنتمية للفكر الحداثي(٣) والذي وجدت مدخلها لتفسير القرآن من المسلك الفكري الذاتي، لذلك فإن السعي لضبط المسلك الأصولي هو غلق الباب على توسع المسالك الأخرى، بل سيكون سدا منيعا في وجه المسلك الفكري الذاتي، ويصرف عنه الأقلام والقراء فيفقد نسبته للتفسير وقيمته بانتسابه للقرآن.

لم يراع كثير من المعاصرين في طرحهم، طبيعة نشوء العلوم ومرحليتها وتطورها! إن **الإيمان بمرحلية تنامي علم التفسير**، يحل الإشكال عند الرافضين للتجديد في المفهوم والضوابط لتتسع للبحث التفسيري المعاصر. وكأن السؤال عندهم –دون اعتبار حقيقة تنامي علم التفسير–، ما بال المفسرين الأصوليين من الطبري إلى الشوكاني؟ أقول إن

(١) لو استمر المفسرون بالتقيد بالمسلك الأصولي الذي أسسه النبيﷺ وأصحابه ثم جعلوه يتنامى بما يقتضيه العلم والحضارة لكان الآن سدا منيعا للقراءات الشاذة الحادثة والغربية، التي تتناول القرآن بالتفسير دون الرجوع لأي أصول. لكن التوسعات وإسقاطات الواقع للمفسر وسَّعت المفهوم والضوابط، ثم إلى الخروج عن المفهوم والضوابط.

(٢)"الأنسَنَة تُطلقُ اليومَ ويُرادُ بها النزعَة الإنسانية Humanism, Humanistic, Humanity والأنسنَة لفظٌ اشتُقَّ من الإنسان، وبُنِيَ على بناء الفعلَلَة، وهو بناء مصدري يُراد به تحويل قضية ما إلى قضية إنسانية. والأنسنة نزعةٌ فلسفية أخلاقية غربية تُركِّزُ على قيمة الإنسان وكفاءَته، وتنتهجُ التفكيرَ العقلانيّ والمنهج التجريبيّ". مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية: للجنة المعنية بالفتوى: أ.د. عبدالرحمن بودرع (نائب رئيس المجمع) أ.د. عبد العزيز بن علي الحربي (رئيس المجمع) أ.د. محمد جمال صقر (عضو المجمع) http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=١١١٨٢

(٣) يقول طه عبد الرحمن: "هؤلاء يقولون بأنهم يريدون قراءة جديدة وحديثة للقرآن، فنحن نتفق معهم، نتفق من حيث أننا نحتاج لنهوض الإسلام إلى تجديد قراءة القرآن، ولكن هذا التجديد ينبغي أن نُبدع فيه، يعني أن نأتي من عندنا بأدوات يحددها تاريخُنا ويحددها تراثنا وعلى أساسها نقوم بإعادة قراءة القرآن، وليس باستنساخ الأدوات الغربية وإسقاطها على النص القرآني، فهم يقولون بقراءات حداثية ولكنها في الحقيقة هي قراءات مقلدة، وليس لها من الحداثة شيء". وينظر: مركز الدراسات الإسلامية والإنسانية، الشبكة العنكبوتية، مرجع سابق.

الطبري موسوعة عصره، وصدق من قال كل من بعده عالة عليه، إذ كيف سيفسر دون أن يحشد كل ما تطاله يده من آثار تخدم النَّظْم القرآني؟! وكيف سيكون إن ترك أمراً له تعلق بالنص لم يحصل عليه وكان بإمكانه؟ ثم كيف سيترك من تكلم من أهل الفرق والاختلاف دون أن يرد عليهم ليتجه فهم القرآن بمعزل عنهم، لذلك فإن الطبري لو وهبه الله مئة عام أخرى أزعم أنه سيعد تفسيراً محكماً للقرآن لا يخرج به عن نظم آياته، ويسمي تفسيره الأول: تاريخ القرآن، أو هامش تفسير القرآن، إن العمر لم يسعف الطبري بعد إنتاجه الأول والعظيم، أن يتم بحثه عن مراد الله في كتابه فقط، دون أن ننتقص من قدر ما دون في تحقيق ذلك فهو كثير وعظيم، وللأسف لم يأت من يتم ما بدأه إمام التفسير، إذاً فأول مرحلة كانت جمع ما يخدم النص، كما فعل الطبري، لكن بعضهم قلده فظن أن هذه الطريقة الأفضل لأنه أقرب للسلف زمنا وتأثرا، وبعضهم هذب جزئيا فحقق بعض الأحاديث، أوحذف بعض الإسرائيليات..أواللغويات..وهكذا عدل قليلا،..ثم عاد من أدخل وطول واستطرد..وبين هذا وذاك تشكل جل النتاج التفسيري في هذا المسلك..وهكذا حتى تطاول الزمان دون أن ينموا المفهوم وتحد الضوابط بالاتجاة الأمثل..لذلك كثر أن نسمع أن التفسير لم ينضج، أو نحتاج لنظرية في التفسير..وما يزال المعاصرون يوسعون في هوامش التفسير اليوم ويسمونها تفسيرا للقرآن وأوسع باب لذلك هو ما سمي بالتفسير الموضوعي، الذي هو إسقاط علم المفسر أو الباحث ومراداته على القرآن[1].

ومن زاوية أخرى ومع وجود اختلافات جديدة معاصرة كنتاج المستشرقين، والحداثيين، والعقلانيين، ومن ضعف عندهم العلم الأصولي. وأشباههم كل هؤلاء يفسر في هذا العصر!. أحدث ذلك ردة فعل عند المتمسكين بالتراث العارفين لقيمته، والذين يعدونه مصدر الأمان للدين –وهو كذلك– ليضفي بعضهم عليه القداسة[2]بدافع الخوف، دون أن يفرقوا بالرتبة بين موروث النبي صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه، ثم رتبة التابعين ثم تابعيهم، وإن كان هؤلاء خير القرون لكن ليسو سواء في التعامل مع نتاجهم في التفسير، ومع إيجاد العذر في هذا التوجه لشرهِ الهجمة على التراث من المخالف! فإن لم يسلكوا المسلك العلمي الموضوعي للموازنة بين تداعيات العصر والتمسك بالموروث فلم

(١) ولَسْتُ أقلل من قيمته لكن كثيرون لم يفهموا مقصودة ولم يلتزموا بضوابطه.

(٢) ومن المأخذ على بعضهم استعجالهم برمي المحقق لمنهج التفسير بالمخالفة أو الاستهانة بالتراث، أو أكثر من ذلك من تهم، وليس من منهج السلف الاتهام بموجب الشبه، ولا الأحكام المسبقة، وليس من منهجهم من خالفني فهو ضدي أو هو مبتدع.

ينتج عنهم ما يحل الإشكالات! وحتى تنضج لدينا نظرية متكاملة في التفسير لابد من الحياد المطلق في الوصف والرصد، لضبط المفهوم والتطبيق. وهو دأب البحث العلمى في مبتدئه لأي مبحث متوقع أن يطرح نتائج مثمرة. لذلك وفي وقتنا الحاضر كان من أعدل من نظر في مسألة الموازنة بين الأصول والحضارة والحاضر هو طه عبد الرحمن[١] يقول"لا نظير للنصّ القرآنى في حداثته التاريخية"[٢]. ويقول:"الجواب الإسلامى عن أسئلة هذا الزمان تتجلى في حقيقتين اثنتين؛ **إحداهما: الإيمان؛** الذي يتوصل إليه بالنظر الملكوتي في الآيات بوصفه مؤسسًا للنظر الملكى؛ **والثانية: هى التخلق؛** ويتوصل إليه بالتعامل مع مختلف الأشخاص والأمم، أي: بالعمل التعارفي بوصفه مؤسسًا للعمل التعاوني"[٣].

المسألة الثانية: إشكالية مفهوم تفسير القرآن بين مدونات العلوم الشرعية وخصوصية الكلام الإلهي.

لما دونت العلوم لتضبط الفهوم، إزداد تعقيد الناس في الفهم بتكلفات العقول، لا بطبيعة تلك العقول، ولا بحقيقة تلك العلوم، ثم دخلت ذاتيتهم في بعضها لتعلي من فهومهم أمام فهوم غيرهم، وأصبح الناس يتنافسون في الإعلاء من أفهامهم، ثم تماهت الذاتية في جماعات فأصبح فهم جماعة عندها خيرٌ من فهم غيرها عندهم، ثم للصد عن الآخرين قالت كل جماعة بقواعد الفهم لتميز فهمها[٤]، وينسحب هذا على بعض الاختلافات في المدارس اللغوية والفقهية والفكرية الإسلامية، ثم قيل في التفسير لا

(١) "يُعَدّ طه عبد الرحمن من الدارسين القلائل الذين قاموا بتفكيك أسس القراءات الحداثية للقرآن عبر نقد منهجي لمنطلقاتها ونتائجها..، ثم حاول الكشف عن أنموذج بديل للقراءة الحداثية من منظوره". ينظر: طه عبد الرحمن وإمكان تقديم قراءة حداثية للقرآن الكريم، الحسن حما https://tafsir.net/article/٥٢٠٩/th-abd-ar-rhmn-wimkan-tqdym-qra-at-hdathyt-llqr-aan-al-krym#_ftnref٢٥

(٢) ينظر: روح الحداثة، طه عبد الرحمن: (ص٢٠٤).

(٣) ينظر: الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن: (ص٢٤).

(٤) ولا يشمل هذا الكلام اختلافات المبنية على دليل صحيح معتبر، بل المراد الاختلافات المبنية على الظنون والرأي الاجتهادي الظني، أو أكثر من ذلك في الفرق التي لا تستند إلى دليل معتبر كبعض ما عند الفلاسفة والمتكلمين وبعض الصوفية الطرقية، كذا في الاختلافات اللغوية والتعصب لمدارسها مع أن سعة اللغة تجعل تعدد الآراء مقبولا ولا يستوجب خلافا وتصويبا وتخطئة للغير، بل من التعصب عند بعض المدارس رد ما نزل قرآنا لمخالفته مذهبهم!!.

يستطيع أحد أن يفسر القرآن إلا من علم كذا وكذا وكذا..[1] من علوم أنتجتها تلك العقول التي كان إدراكها بمقتضى طبيعة العقل، فاتجه الفهم لمسار معقد مستغلق إلا على تلك الذوات المتماهية كل منها في جماعة، فهذا ما نجده من تعقيدات في بعض النتاج التفسيري التراثي[2]، ثم المعاصر[3]، والله سبحانه يقول:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧] ويقول:﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة:١٩]. فالقرآن نفسه يقرر تلقي البديهة والفطرة السليمة لفهم القرآن ويقول:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢] ويقول:﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه:١١٣] ويقول:﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] ويقول:﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت:٣] ويقول:﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨] ويقول:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] ويقول:﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

ولتحليل عملي لتوضيح المراد دون التباس نقول مثلا أيهما أنحا وأقدر في اللغة الوليد بن المغيرة أم سيبويه؟ لا شك أنه الوليد لا سيبويه، لكن لا يقال عالم في اللغة إلا لسيبويه من بينهما؛ لأن فهم النحو مسائل نظرية نظمتها العقول واصفة مواضعها في

(١) لا شك أنه لا يصح أن يفسر القرآن إلا عربي فذ بالفطرة، أو متعلم للغة العرب حاذق، ثم لديه من علوم الشريعة عامة، وعلوم القرآن خاصة ما يعين عقله على إدراك المعنى دون أن يخرج عن لغة القرآن ومقتضى الشريعة، وتاريخ نزول القرآن الكريم. وقصد الكلام هنا في المتن هو مفرزات الخلافات النحوية ومفرزات الخلافات الفقهية، وتحكمات الخلافات الفكرية؛ التي تتجه نحو ذوات أعلامها ومذاهبهم وتجعل ذلك أساسا وعلما لا يفسر القرآن إلا به، كما عند المتشيعين، ومن سموا بالخوارج، وغيرهم كثير ممن فرط أو أفرط.

(٢) كتحويل تفسير القرآن إلى تأصيلات نحوية معقدة، أوقواعد فقهية أوآراء فقهية، أوتفسيرات باطنية ذاتية يختص بها إمام الجماعة الفلانية، أو إشارات وتجليات صوفية، أونظرة وجودية، إلى غير ذلك مما يسقط على القرآن وتفسيره!.

(٣) أحدث هذا العصر اختلافا في الأفهام لم يأتي بها الأوائل! فطبق من تملص من الأصول وعزل القرآن عن قائله سبحانه! ليقول في تفسيره بأنه نص حي واقعي، فيفسره بنظريات غربية مسقطة على الكتاب المقدس، كالهرمونطيقا ونظرية موت المؤلف!!، فأنتجت كلاماً مستغلقا لا يدركه حتى علماء الشريعة، وجعلته تفسيراً للقرآن!!.

اللغة هي صنعته، لكن الوليد كان عقله يعي بطبعيته هذه العلوم من جهة اكتسابها، دون أن يصفها..وهكذا قس على الفقه وأصوله، وعلى كل ما يندرج تحت علوم القرآن الكريم. يقول الذهبي: "ترون في كتب العربية أن العرب كانوا مسددين في النطق، يتكلمون بما يوافق القواعد قبل أن توضع، أتحسبون أن ذلك كان طبيعياً لهم؟ كلا، وإنما هي مَلَكة مكتسبة بالسماع والمحاكاة، ولذلك صار أبناء العرب أشد عُجْمة من العجم عندما اختلطوا بهم، ولو كان طبيعياً ذاتياً لما فقدوه في مدة خمسين سنة بعد الهجرة"(١).

فلما نزل القرآن الكريم ففهمه العرب، فتلك لغتهم تلقوها بصورة طبيعية متكاملة مع نفوسهم وعقولهم، ففاقوا في فهمها، فتحداهم الله بكلام من جنسها. وتفوقهم يمتد ليعلو على قواعد النحاة وأهل علم اللغة جميعا! فلعل المنهج الأمثل في فهم اللغة لفهم القرآن الكريم هو العودة لتلك الطبيعة، دون مقارعة جمود النحو وخلاف النحاة وصراعاتهم، والسؤال المتبادر كيف نعود لأخذ اللغة كما أخذها العرب قديما؟ وقد تغيرت الأحوال بالعجمة والعامية، والمعرب المتزايد في هذا الزمان خصوصا؟ والجواب: بسؤال وتقرير أما السؤال فهو: هل أفلحت قواعد النحو والنحاة ببث العربية ونشرها بين الناس ولو بأدنى صورة مما كانت عليه في الجاهلية؟ والجواب بالنفي(٢)، ليدخلنا إلى التقرير بأن الرجوع إلى طريقة العرب في الفهم ببساطة من تعلم القرآن لغة ومنهجا وفكراً، هو ينقل تلك الحقبة بروحها وذاتها بدقة ليس من دونها جهد أي أحد، كل ذلك دون التقليل من تفريعات علم النحو وعلوم اللغة كلها لكن دون الخلط بينها وبين خصوصية القرآن في التلقي والفهم.

وأخيرا: فإن من خصوصية القرآن في فهمه ضبط قراءته، فيحصل الفهم بها للقارىء وللمنصت إليه والمستمع: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]. وقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]. وقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي: (١/١٩٣).

(٢) وإن كانت هذه القواعد حفظت تركيب اللغة، لكن جعلتها في جماعة النحاة ومن يتعلم علمهم، ومحجوب ذلك عن عموم المتلقين، فصارت اللغة متفاوتة عند علمائها بين مكثر ومقل في إجادتها، وقطعا لا يحيط بها أحد إلا نبي، ولا يدرك منها العوام إلا بعض مفردات يخاطب بها، أو يدرك منها نزرا يسيرا إن خالط عالما أو استمع إليه.

عَجَبًا﴾ [الجن:١] وقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩﴾[الانشقاق: ٢] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٨]. إن دراسة لغة القرآن بنظْمِه الخاص ابتداء، تورث العقول أفهاما كفهم الوليد بن المغيرة، ودراسة القرآن بقواعد اللغة المضبوطة بعقول علماء اللغة تمنع العقول من الفهم إلا بفهم المقعدين كفهم سيبويه وغيره، وشتان بين الوجهتين وغايتيهما(١). والمراد من ذلك بيان حقيقة مفهوم تفسير القرآن، وأنها في الناتج التفسيري تنقسم لاتجاهين الأول: نحو مراد الله من كلامه وغايته، وهو تفسير النبي ﷺ وأصحابه. الثاني: نحو المفسر وغايته التي يريد بها الحق بفهمه.

المسألة الثالثة: ملامح لنظرية تجديدية أصولية لمفهوم التفسير وتحديد ضوابطه.

إننا حتى نصوغ نظرية حديثة أصولية متكاملة في التفسير يلزمنا تحديد عناصر عملية تفسير القرآن الكريم وهي: (المفهوم، الضوابط، المفسر، الأدوات) والسعي لتحقيق التوازن بينها، الذي سيظهر في إنتاج المفسر، ومنطلق البحث في ضبطها يتلخص في التقاط الآتية:

١. الإيمان بمرحلية تنامي علم التفسير، وأنه كباقي العلوم مستمد من جانبين النقل والاجتهاد.

٢. أن نسمي كل ما دوّن في التفسير من التفسير الأصولي المعتبر(هامش تفسير القرآن) وهذا الهامش هو الأدب النظري الذي ستنطلق منه نظرية محكمة في تفسير القرآن الكريم.

٣. أن نجمع ما وفق المفسرون بتفسيره مما يظهر أنه مرادا لله دون خلاف معتبر، ونعده تفسيرا تراثيا نبدأ من بعده للتفسير، ونصف من خلاله جزء من مفهوم التفسير وضوابطه.

٤. أن نضبط مفهوم تفسير القرآن الكريم، ونلتزم به بوضع ضوابط نتقيد بها عند إرادة التفسير.

٥. ضبط قواعد للتفسير الأصولي مشتقه من مفهومه المنضبط.

٦. إدراك أن الإضافة إلى الأفهام هي فتح من الله وقدرة علمية وعقلية، لا تقتضي التوفيق لتفسير جميع آيات القرآن، فالسعي لذلك وجعله مقصدا تكلف.

---

(١) وليس هذا الكلام في إطار المدح والقدح، فهذه طريقة الثنائية في الحكم، لكن الكلام في نقد الموجود للوصول إلى الأجود، وقيمة علوم اللغة لا تظهر بخلطها بعلم التفسير أو طغيانها عليه، فكل علم له قيمته وتظهر غايته بضبطه منفصلا عن الآخر.

٧. الفصل بين فهم القرآن بعده كلاما لله، وبين فهم مدونات العلوم اللغوية والشرعية وغيرها.

٨. ترك السعي لتفسير القرآن كاملا من فرد أو مجموعة، بقصد إنتاج كتاب كامل في التفسير.

بعدها فإن النتاج التفسيري سينموا باتجاه واحد تكاملي، ويبتعد عن إسقاطات الإنسان على القرآن، وينغلق الباب أمام المناهج الحداثية الحالية، أو ما قد يظهر مستقبلا أشد منها في المخالفة للمنهج الأصولي. وإذا أردنا تحديد مفهوم للتفسير باستحضار النتاج التفسيري السابق على حاله، فإنا لن نستطيع ضبط هذا المفهوم، وسنجده واسعا وليس له حد، وإذا عرضنا هذا الإنتاج على تعريف التفسير بأنه "كشف معاني القرآن"(١). نجد هذا التعريف يستوعب كل التفاسير حتى التفاسير الحداثية؛ لأنه لا يضبط الكشف بمراد المتكلم، بل أطلقه ليشمل مراد المفسر، فالقرآن كنص عربي يمكن تفسيره بمطلق اللغة كما يفعل أصحاب التفاسير اللغوية، ويمكن تفسيره تفسيرا مقاصديا، كما عند علماء أصول الفقه، ويمكن تفسيره فكريا وفق كل ما يدور في عقل المفسر ونفسه وحاجته، ويمكن تفسيره اجتماعيا، وذاتيا،...إلى آخر ذلك مما لا حصر له.

أما كون التفسير الأصولي هو المسلك الذي يجب أن ينطلق منه ضبط مفهوم التفسير وحد ضوابطه؛ فلأنه الأقرب إلى البحث عن مراد المتكلم وهو الله سبحانه لا مراد المفسر، لأنه يتبع في تفسير القرآن ما قاله القرآن نفسه وما قاله النبي ﷺ، ثم أي أثر مرده النبي ﷺ، رغم أن معظم النتاج التفسيري المنتسب لهذا المسلك ابتعد عن مراد الله لمراد المفسر فأدخل المرويات واللغويات والاستنباطات. وبالعرض الذهني الاستقرائي للإنتاج التفسيري الأصولي، يظهر أن أفضل ما يقرب من البحث عن مراد الله هو التفسير المنطلق من نَظْم القرآن؛ لأنه يفسر مقصد الآية من داخل نظم السياق الذي جاءت تحتف به. ليس مراداً أن يغض أحد من قيمة تحليل الكلم القرآني لغويا، لكن المراد أن يحلل النَّظْم لبيان مراد الذي نَظَمَه، دون تقصير أو تطويل، لا أن يفكك النَّظْم لمادة لغته ويفسر ذاك المفكك بكلام مفكك أكثر! وبمعنى: أن تستخدم معنى

(١) يقول الزركشي: "التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل". البرهان في علوم القرآن، الزركشي: (١٤٩/٢).

النحو لبيان مراد الكلام المنتظم لا أن تحشد قواعد النحو وتبينها في متن كلامك الذي قصدت منه تفسير القرآن! وحتى نخرج من جدل تحديد المفهوم والضوابط، فإنه يلزمنا أن نحتكم في تحديده لقائل القرآن نفسه سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]، ولمن نزل عليه والذي كلف به: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]. وهذا لا يرفضه أو يخرج عنه إلا مبتغٍ لذاته، أو هواها علم أم لم يعلم.

المسألة الرابعة: تحديد مفهوم تفسير القرآن الكريم وفق المسلك الأصولي.

إذا حددنا مفهوم التفسير من أصل مصدره وهو القرآن الكريم ومتلقيه وهو النبي الكريم ﷺ، تمكنا من الحصول على وصف دقيق له، ثم حد ضوابط لهذا المفهوم، من ذات المصادر.

ومنهج البحث في مفهوم التفسير وضوابطه يظهر في **أولا**: الوقوف على المفهوم القرآني للتفسير وتحديد هدف التفسير؛ وذلك باستقراء الآيات القرآنية الدّالة صراحة أو إشارة على مفهوم تفسير القرآن، ودراستها لاستخلاص المفهوم الدقيق للتفسير، ثم تحديد أهدافه. **ثانياً**: تحديد منهج النبي ﷺ في التفسير ومن تبعه على هذا المنهج من السلف؛ وذلك بدراسة تفسير النبي ﷺ وأصحابه وتأكيد انسجامهما مع المفهوم القرآني بإيراد الأمثلة وبيانها. **ثالثاً**: تحديد السبيل الأمثل في تفسير القرآن الكريم؛ وذلك بوضع منهج في التفسير الأمثل مبناه المفهوم القرآني للتفسير، وتطبيقات النبي ﷺ وأصحابه لهذا المفهوم.

لماذا كلمة تفسير؟ وليس بيان القرآن، أو كشف القرآن، أو معنى القرآن أو تأويل القرآن؟ فالتبيان: جهة المبين وهو الله، ورسوله ﷺ، والتأويل أخص من التفسير كما جاء ذلك في دلالة القرآن واللغة [(١)]، والتفسير اصطلاحٌ يتسع في اللغة للكشف والبيان ومعنى الشيء، وتأويل الكلام، ومادته (فسر) مبناها ومعناها"الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه"[(٢)]. ولعملة التفسير عناصر هي المفَسِر والمفَسَّر وآلة التفسير وأدواته. إذا مفهوم التفسير يتحقق بانسجام بين أصل كلمة فسر ودلالتها واصطلاح العلماء عليها، ثم إضافتها للقرآن الكريم لتدل على مراد كلام الله

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني: (ص:١٠).
(٢) "من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته. والفسر والتفسرة: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه". معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (٤ /٥٠٤).

تعالى. واستعملها القرآن مرة واحدة في سورة القرقان ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣].

فعرّفه الجرجاني(ت:٤٧١) في الشرع فقال:"توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة"(١). وعرفه أبو حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ) بقوله:" التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب"(٢). وعرفه الزركشي(ت:٧٩٤هـ) بقوله: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"(٣). وقال الماتريدي: "التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهى عنه"(٤)، وعرفه الزرقاني(ت:١٣٦٧هـ) بقوله: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"(٥). هذه التعريفات تشير لجانبين: لمعنى التفسير لغوياً، ولما يستكنه في القرآن من معارف، وتظهر دور المفسر وجهده. لكن تعريف تفسير القرآن ليكون جامعاً مانعاً، يحتاج لربط الدلالة بالمقصد، وتحديد جهة إجراء الدلالة، وإلا فسيشمل كل التصورات الواردة في ذهن مريده مما تحتمله لغة القرآن.

ويمكن تحديد المفهوم القرآني للتفسير من منطوقه هو ومفهومه فالأخبر بالكلام قائله، فكيف إذا كان الله المتعال سبحانه، فتفسير كلامه عز وجل هو فهم مراده. ويحصل هذا الفهم من تحديد مفهوم التفسير الذي به تتحدد وجهة المفسر نحو

(١) التعريفات، الجرجاني: (ص:٨٧).
(٢) البحر المحيط، أبو حيان:(١/٢٦).
(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: (١/١٣).
(٤) قال"والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله". ينظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي: (١/١٨٥) وقد جمع السيوطي هذه الأقوال وغيرها ولم يرجح بينها أو يعرف تعريفاً خاصاً. ينظر: الإتقان، السيوطي:(٤/١٩١-١٩٢).
(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني: (٢/٣). وقد سبق ابن تيمية في ربط التفسير بالبحث عن مراد الله عو وجل، يقول:"وأعظم غلطاً من لا يكون قصده معرفة مراد الله". مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (١٥/٩٥).

القرآن الكريم، وتطبيق ذلك تماما دون زيادة أو نقصان للوصول لمراده من كلامه، وهذا هو معنى التفسير الذي ينتج عنه فهم مراد الله عز وجل ويظهر نتاجاً تفسيرياً، ولا يعدو ذلك أن يكون اجتهاداً بما وفق له المفسر من إعمال عقله وفق طاقته التي سخرت له. وبذلك يتضح كيف سنضبط مفهوم تفسير القرآن الكريم. وللتوضيح أكثر نحدد آلية البحث في **تحديد مفهوم تفسير القرآن لضبط مسلك المفسر**:

١. تحديد المراد من تفسير القرآن من منطوق القرآن الكريم ومفهومه، دون أي حيد عن ذلك.

٢. تحديد المراد بتفسير القرآن من مباشرة النبي ﷺ للتفسير.

٣. ضبط المعنى الاصطلاحي لمفهوم مراد الله من تفسير كلامه، واختيار ما يناسبه لغويا دون التوسع في دلالة اللفظ اللغوي.

يدور المفهوم القرآني للتفسير على ثلاثة: الأول كلام الله المبَيِّن، الثاني: الرسول ﷺ المبَيِّن ومن تبعه ليوم الدين، الثالث: الغاية المرادة من البيان عند المستمع. فلو كان القرآن غير مُبَيَّن، لم يستطع أن يُبَيِّنَهُ أحد، ولما استبان فهم المراد منه للناس. وعليه فالتعريف القرآني لمفهوم بيان الكلام المنزل وتفسيره وبالاعتداد بالتعريفات السابقة وبما تقدم من محددات هو: **تَبْيين مراد القرآن لغاية الله سبحانه من كلامه.** فالتبيين: يحتاج لتوفيق وجهد، وتعبير مُفْهم. ومراد القرآن: المعنى الإيماني أو الفعلي الذي أورده وأراده. وغاية الله: كما أبانها هي الهداية من الضلالة، أو إقامة الحجة لمن اختار الغواية. وبعبارة أخرى: **تَبْيين مراد القرآن بتوفيق الله لنبيه ولمن شاء لغايته سبحانه بهداية الناس أو محاجتهم.**

وأورد القرآن لتعليم مفهوم التفسير لفظ: البيان بمشتقاته، وأورد لفظ التفسير وصفا للقرآن. ولم يستخدم القرآن الكريم كلمة تفسير ليدل على مرادنا نحن بمدلول هذه الكلمه[1]، ووردت كلمة تفسير في القرآن مرة واحدة في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]-كما أوردنا سابقا- أما كلمة بيان فوردت في القرآن مرات عديدة، ومعناهما اللغوي يتجه نحو الإيضاح والكشف، والمعنى الاصطلاحي -كما سبق- لا يصح أن يخرج عن مفهوم القرآن لكلا الكلمتين.

(١) تتجه تعريفات التفسير الاصطلاحية نحو المفسر أكثر من اتجاهها نحو القرآن الكريم، والتفسير بالمفهوم القرآني-كما بين سابقا- يتجه نحو القرآن ومراد الله منه. وأحسن تعريف عبر به عن ذلك ما في معنى قولهم: البحث عن مراد الله عز وجل وفق الطاقة البشرية.

إذا كلمة تفسير ترتبط بمنطوقها اللغوي بالكشف والبيان، وبمفهومها في دلالة القرآن والسنة إلى كشف الشيء الذي يريده الله من كلامه، ولذلك كانت هذه الكلمة تدل على مفهوم التفسير بوضوح ودقة، إذا القرآن كلام الله مُبِيْنٌ في ذاته ويحتاج لبيان لاختلاف ذوات الناس، ولا يبين هذا المبَيَّنَ إلا النبيﷺ أو مهتدٍ بهديه قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦].ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]. إذا بموجب الآية الأولى لا ينفك تفسير القرآن عن إرادة الله لتوفيق مفسره، ولا ينفك تفسير القرآن عن السعي لكشف مراد الله ومقصده من كلامه سبحانه، ولا ينفك تفسير القرآن عن غايته وهي طلب الهداية، ولازم ضدها. فإجمال أركان مفهوم تفسير القرآن في الآتي: (كشف المعنى وبيانه، مراد الله ومقصده، جهد المفسر العقلي، نور الله وتوفيقه وهدايته) أما البيان والكشف بمعناه فهو بأمر الله لنبيه ﷺ:﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ والأمر لكل من أوتي كتابا:﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]. ومجيؤه هنا تحذيرا من كتمان بيانه لمن قدر وعلم. وأما جهد المفسر فللأمر بالبيان الذي لا يقوم إلا ببذل جهد فعلي (عقلي، وقلبي، وكلامي، وتفاعل نفسي). قال الزركشي: "أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر"(١). وأما حصر الكشف بمراد الله ومقصده سبحانه، وحصره بتوفيق الله فقوله:﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ*يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ ومنه فتعريف تفسير القرآن بجميع الحدود والمقتضيات السابقة يكون: **سعي النبي ﷺ ومن تبعه لبيان مراد الله سبحانه والكشف عن مقصده من كلامه بقدر ما يوفقهم الله ويهديهم، وفق حاجة المتلقين لغاية هدايتهم أو محاجتهم**. وهذا التعريف فيه:

١. المفسر هو النبي ﷺ ومن تبعه، فبقدر اتباعه ﷺ يؤهل المفسر لتوفيق الله لإدراك مقصده من كلامه.

٢. بذل الجهد لاستكناه مراد الله ومقصده من كلامه.

٣. توفيق الله وهدايته لمن يشاء من إدراك مراده، فيوفق أحدا لشيء، ويوفق غيره لشيء آخر.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: (٢/١٨٠).

٤. تعدي إرادة التفسير لنفع الناس، ولزوم كشف ما وفق الله إليه المفسر لهداية الناس أو حَجِهم.

فبتحديد المراد من تفسير القرآن من منطوقه ومفهومه، يظهر في أن القرآن الكريم بَيَّنَ ما يحتاج الناس إلى بيانه، أما أنه بَيِّن وضوحه لقارئه، فعلى ذلك أدلة كثيرة منها قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، وأما أن الناس يحتاجون لبيانه؛ لأنه خطاب رب العالمين الكريم لتلك الأفهام المتفاوتة للناس، باختلاف أحوالهم وأزمانهم، وعلى حاجة بيانه[(١)] أدلة كثيرة﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، والآيتان تشيران لطرفي مستويات الأفهام، ولمستويات مرادات الله من كلامه القرآن–سيأتي الكلام في ذلك– وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباس حيث قال:"اللَّهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل"[(٢)]، والذى عناه علىٌّ رضى الله عنه بقوله – حين سُئِل: هل عندكم عن رسول الله ﷺ شيء بعد القرآن؟ فقال: "لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهم يؤتيه الله عَزَّ وجَلَّ رجلاً في القرآن"[(٣)]. أما القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل، فهذا منهى عنه شرعاً، لقوله تعالى في الآية [١٦٩] من سورة البقرة:﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]. فالأصل الأصيل أن ليس للتفسير غاية إلا البيان عن مراد الله عز وجل؛ لأن هذا البيان تقام به الحجة بالهداية أو الضلال﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢].﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأعراف:١٧٤].﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة:١٨٥].﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]. ويثبت بالحجة الحكم بالثواب أو بالعقاب﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٥]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

(١) وردت كلمة بيان بمشتقاتها، في القرآن دالة على تفسير معنى القرآن في ١٠ موضع وهي الآيات: في البقرة ١٨٥ والبقرة٢١٩ وآل عمران: ١٨٧ ويونس٦١ ويوسف٢ والحجر١ والنحل٤٤، والنحل٦٤ النحل٨٩، وفصلت٥٣ ويس٦٩.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل: مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس (٢٦٦/١) رقم: ٢٣٩٧ وفي الجامع الصحيح، البخاري "اللهم فقهه في الدين". كتاب بدء الوحي، باب وضع الماء عند الخلاء: (٤٨/١) رقم: ١٤٣.

(٣) الجامع الصحيح، البخاري:كتاب بدء الوحي، باب فكاك الأسير، (٨٤/٤) رقم: ٣٠٤٧

وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[محمد:٣٢]. تقوم الحجة بالبيان ويترتب عليه الثواب والعقاب، لذلك مقصود التفسير البيان لتحقيق غايته من إقامة الحجة.

فهل ينطبق هذا المفهوم [١] على كثير من التفاسير؟ بمعنى هل أكثر ما في هذه الكتب يلتزم بيان مراد الله عز وجل للغاية التي يريدها هو سبحانه؟ أقول كلا، بعض التفاسير مستغلقة الفهم؛ لأنها أثر عقل المفسر بعلومه لا أثر بيان القرآن لتحقيق مراد الله، وكثيراً مما فيها هو دراسة تاريخ المفسر نفسه! وكيف ينظر لمن حوله وكيف يريدهم أن يكونوا، والأكثر من ذلك وجود التعصب للذات المتماهية في جماعة، وجعل ما تقوله هو الحق الذي يريده الله!! لا أنها فسرت الحق الذي يريده الله ثم التزمته ثم أرادته للناس ببثه بمنهج القرآن، وفرق بين الصورتين كبير.

أما خطاب القرآن وبيانه فاختص الله بتعليم كتابة لمن يشاء﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[الرحمن:٢] فكما أن الأفهام تختلف، فكذلك عطاء الله لها مختلف، وقد حده الله بحالها فالتي تقبل الحق هي أعلا الأفهام وأجدرها بإلقاء الفهم لها من الله﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٨٢] وفي الأثر"عن عبد الواحد بن زيد، قال: كان يقال: من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم"[٢].﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ﴾[فصلت:٤٤] ودعاء النبي ﷺ لابن عباس الذي سبق (وعلمه التأويل) قال الزركشي: "اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحى ولا تظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب دنيا، أو هو مُصِرٌ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق"[٣]. أما التي تعرض وتنكر وتعلي من نفسها أمام الحق هي أجدر أن يحجب عنها الفهم والإفهام وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[الأعراف: ١٤٦]."قال سفيان بن عيينة: أحرمهم فهم القرآن"[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[فصلت:٤٤]﴿وَجَعَلۡنَا

(١) وهو إرادة التفسير لبيان مراد الله للغاية التي يريدها وهي الهداية من الضلال للثواب او إقامة الحجة للعقاب.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم: (١٦٣/٦).

(٣) وتابع: "أو يعتمد على قول مفسِّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حُجُب وموانع بعضها آكد من بعض"، البرهان، الزركشي: (١٨١/٢).

(٤) البرهان، الزركشي: (٦/١).

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[الإسراء:٤٦]. وهناك مستوى آخر وهو الإنسان الذي يقبل الحق ويقربه ثم ينكر علمه فهو متذبذب بين ذلك الحق، وبين ذاتيته فأيهما علا عنده مال إليه فهذا يعطى ثم يحرم باختياره ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]. وكل ذلك يدل على أن طريق الفهم هو مبادرة الإنسان بالتدبر، وهذا يقتضي بذل جهد في التفكير والتفكر وهي سمة في الإنسان تلقائية من طبيعته، ومتنامية لتصبح ملكة يتفوق بها ويتميز. فمن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة١٦٤:]﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:١٩٠]﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[الروم:٢٢]﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الجاثية:٥].

أما تحديد المراد بتفسير القرآن من مباشرة النبي ﷺ للتفسير، فالنبي ﷺ الأمي كما يقول تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨] لم يحتج الناس للإيمان به وفهم كلام الله عنه لعلوم الآلة؛ لأن الخطاب القرآني -وكما سبق- بيِّن ففهموا ما فهموه وأفهمهم النبي ﷺ ما احتاجوا لبيانه، في حدود غاية القرآن، فكان تفسير النبي ﷺ متجها نحو غاية القرآن ومحققا لها فنتج عنه إيمان الناس وازديادهم في الإيمان، وإقامة الحجة على الضُلَّال. فكيف فسر النبي ﷺ القرآن بهذا المقتضى؟ نقف مباشرة عند تفسيراته ﷺ. فإما أن يبتدأهم بمعنى، أو يجيب عن سؤال سائل، قال ﷺ«قيل لبنى إسرائيل ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ﴾[البقرة: ٥٨] فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في

شعرة»[(١)]. و"عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي»[(٢)]. وعن عائشة أنهم"كانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺعن ذلك فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[البقرة:١٥٨][(٣)]. فمثل هذا السؤال يأتي الجواب من الله فتكون الآية مفسرة؛ لأنها نزلت جوابا عن سؤال.

المسألة الخامسة: رصد ضوابط مفهوم تفسير القرآن.

اختار البحث تعريف تفسير القرآن من منطوق القرآن نفسه ومن مفهومه ومن تطبيق النبي ﷺ له فهو بهذه الأوصاف: **سعي النبي ﷺ ومن تبعه لبيان مراد الله سبحانه والكشف عن مقصده من نَظْم كلامه بقدر ما يوفقهم الله ويهديهم، وفق حاجة المتلقين لغاية هدايتهم أو حجهم به.** والضوابط اللازمة لهذا التعريف هي:

١. الإيمان بأن التفسير متنامٍ إلى أن يرفع الله القرآن، فما سيهدى إليه من بعدك قد لا توفق إليه ولو طلبته.
٢. لا يفسر القرآن إلا متَّبِع النبي ﷺ إيمانا وسنة وفهما.
٣. عدم التفريق بين القرآن والسنة في مرتبة التفسير فكلاهما سواء.
٤. عند إرادة التفسير يكون الدافع هو استكناه مراد الله لا مراد المفسر.
٥. لا يتكلف المفسر بتوضيح الواضح فالقرآن بلسان عربي مبين.
٦. التفسير بلغة القرآن الكريم، بتتبع نظمه من داخل سياقه، لا بما تتسع له معاني اللغة وقواعدها.
٧. البحث في التفسير عن مقاصد القرآن لا عن مقاصد المفسر ولو كان مقصده صحيحا.

---

(١) الجامع الصحيح، البخاري: كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: (١٢٤٨/٣) رقم:٣٢٢٢. والجامع الصحيح، مسلم: كتاب التفسير، باب حدثنا محمد بن رافع (٢٣٧/٨) رقم: ٧٧٠٨.

(٢) الجامع الصحيح، مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه (٥٢/٦) رقم: ٥٠٥٥.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح: كتاب التفسير باب سورة البقرة (١٦٣٥/٤) رقم: ٤٢٢٥.

٨. عدم التكلف في تفسير آية لم يفتح الله بفهم جديد بها على المفسر.
٩. عدم عقد النية على إنتاج تفسير كاملٍ للقرآن الكريم.
١٠. جعل غاية المفسر من التفسير هي هداية المتلقي أو إقامة الحجة لله على الناس.

المسألة السادسة: رصد ضوابط مفهوم تفسير القرآن في إنتاج المفسر المعاصر.

فيما سبق كان الكلام عن **تحديد مفهوم تفسير القرآن**، ولضبط المسلك الأصولي عند المفسر المعاصر، نحتاج لترجمة المفهوم في ضوابط من الممكن تسميتها أصولاً، وتظهر في إنتاج المفسر، تبين ظهور مفهوم التفسير لديه دون زيادة أو نقصان، أو إخلال. ويظهر الالتزام بمفهوم التفسير في المسلك الأصولي عند المفسر من عدمه، بالإجابة عن هذه الأسئلة الآتية، فعندما شرعتَ أيها المفسر في تفسير القرآن الكريم إلى ماذا تقصد:

١. هل تقصد أن تبث منه الهداية للناس فتستحضر كل معاني الهداية فيما يحتمله المعنى اللغوي والشرعي؟
٢. هل تقصد أن ترد على المخالف لك، في التهاون بالعمل بالأصول، أو مخالفتها جملة، أو الابتداع بما يضر بها، أوما شابه هذه المقاصد؟
٣. هل تقصد أن تشتغل بعلم اشتغل به علماء التراث، وتريد أن تكون مثلهم؟
٤. هل تقصد أن تبرز أنك ذو اقتدار بعلم التفسير؛ الذي يتطلب سعة في علوم الآلة وعلوم القرآن؟
٥. هل تقصد أن تبرز ما في عقلك من معنى راق لك وتريد أن توصله لغيرك بدليل قرآني؟
٦. هل استوى عندك مفهوم الاتباع والتقليد؟
٧. هل تريد أن تجمع ما سبق بأسلوب جديد وطرح عصري، فتنتج موسوعة للتفسير المأثور أو الموضوعي؟

إنك لن تكون مفسرا لكلام الله إلا إذا استخدمت أدواتك في بيان مقصود كلام الله في انتظامه، لا أن تفككه فيروق لك معنى من ذلك المفكك فتسبح فيه فلا تعود للنَّظْم، أو قد تعود إليه بعد حين، فيفقد كلامك نظمه. إن الكلام المنتظم يفسر بكلام منتظم مثله، فإن لم يكن مثله في الانتظام فمقارب له، لذلك جاء القرآن متفوقا على كلام العرب المنتظم. كذلك استخدام جميع الوسائل المتاحة للكشف عن مراد الله سبحانه وتعالى وفق علم المفسر. أقول مراد الله سبحانه لا مراد المفسر، وهذا هو الحد

الفاصل بين منهج التفسير الأمثل والمنهج الأيديولوجي المتسع انتشاراً في الوقت الحاضر –وسيأتي بيانه لاحقا–؛ لأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل، فكيف نريد تفسير كلام الله ونتبع فيه مراد المفسر لا مراد المتكلم! فالاستطراد في اللغويات وحشد الأقوال، والاسرائيليات، والبعد عن التفسير اللغوي الداخلي، وفصل المعنى المراد بكثرة المسائل الفقهية، وعدم تحقيق الأخبار، ثم الاستغراق في الردود على الفرق، وغير ذلك..هو مراد المفسر وليس مراداً من كلام الله في سياقه.

ذلك المتقدم يعني أننا مازلنا اليوم بحاجة إلى تطبيق نظرية في تفسير القرآن، تريد أن تكشف عن مراد الله من الآيات القرآنية، وتعرض ما تستطيعه بالجهد البشري بتجرد تام، وبمنهج منضبط مستقيم، دون أن تتجاوز النظم أو تبعد عنه. حتى تُكَوِّن لبنات التعلم والفكر المتوازن المستقر المتنامي، بعيدا عن الذاتية (الأيديولوجيا) بكل صورها التي ينقل صاحبها مخزونه الفكري عبر آيات القرآن! مما يقوي تلك الأفكار لتكون موروثاً مقرونا بالتفسير، فتشكل عقل الجيل ومخزونه ونظرته إلى القرآن.

المبحث الثاني: المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم.

تأثر بعض علماء المسلمين بعلوم الأمم الأخرى كالفلسفة[(١)]اليونانية وغيرها، فالفلسفة علم موروث عن اليونان يعبر عن نظرتهم هم للطبيعة والوجود، وما يلحق ذلك من نظريات[(٢)]، ثم هي بذاتها منهج يتبناه الإنسان ينظر فيه لكل ما يحدث حوله، فهي مسلك إنساني ومنه وجدت الفلسفة الإسلامية وفلاسفة مسلمون أنتجوا فلسفة إسلامية حادثة. "فالفكر الفلسفي في الإسلام عني منذ نشأته بكل المشكلات التي أثارها الإسلام، وهذا بين في مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم.."[(٣)]. لكن ممن تأثر بالفلسفة اليونانية من المسلمين من أراد تطبيقها على الإسلام وفهم القرآن بمنظورها، ومنهم من أراد التوفيق بينهما فأخذ منها ورد عليها. ومن نتائج دخول الفلسفة للأمة ونظرياتها اليونانية، دراسة العقيدة والعلوم الإسلامية بالمنظور الفلسفي اليوناني، فتعرضت الفلسفة لمسائل علم الغيب والكلام في الذات الإلهية بما يقتضيه العقل الفلسفي، وتناول الذين تبنوا طريقة الفلاسفة تفسير القرآن بمنظورها، فنتج عن ذلك عدة مناهج في تناول التفسير بقدر الاستحكام من الفلسفة، أو بتبني وجهات معينة فيها، فظهرت التفاسير الفلسفية، وتوجهت جماعة لتناول تفسير القرآن بمنظور الفلسفة الحرة غير المقيدة بقوانين الفلسفة اليونانية، ولعله لم يظهر هذا النوع الأخير إلا في هذا العصر. **فالمسلك الفلسفي في تفسير القرآن: يعني تناول**

---

(١) "ظهور الفلسفة إلى ما قبل الميلاد، وقد عرفت المجتمعات السّابقة كلّها الفلسفة، وتعاملت معها وبها، إلّا أنّها كانت ظاهرةً في بعض المجتمعات أكثر من غيرها، وتقوم فكرة الفلسفة على النّظر إلى الإنسان والكون نظرةً عامّةً وقيل إن لها أصل يوناني خالص". ينظر: مقدمة في الفلسفة وقضاياها، صبري خليل: (ص: ٣-٤).

(٢) "الفلسفة في اللُّغة: أصل كلمة فلسفة هو اختصارٌ لكلمتَين يونانيّتين، هما: فيلو، وتعني: حُبّ، وسوفيا: تعني الحِكمة؛ أي إنّ معنى الفلسفة هو حُبّ الحِكمة، وينسب بعض المؤرّخين هذا الاصطلاح إلى فيثاغورس. وفي الاصطلاح عند ابن رشد: النظر والاعتبار هو التفكير في الموجودات من حيث أنّها مصنوعات. إذ يرى أنّ كلّ ما كانت المعرفة بالمصنوعات أتمّ كانت المعرفة بالصّانع أتمّ". ينظر: تبسيط الفلسفة، رجب بو دبوس: (ص:١٣-١٤).

(٣) المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، محمد العربي: (ص:٤).

المفسر آيات القرآن بالتفسير وفق نظريات الفلاسفة اليونان، أو وفق نظرة الفلسفة الحرة وتبنيها لنظريات في الكون والإنسان.

فمن النوع الأول: وهو تفسير القرآن بما اكتسب من فلسفات اليونان، ظهر من أراد أن يثبت الفلسفة في تفسيره للقرآن بتأويله بمقتضى علمه بها كالفارابي(ت:٣٣٩) في تفسيره للقرآن في كتاب فصوص الحكم، وابن سينا (ت:٤٢٧)"فالمنطق الأرسطي لعب دورا مهما في تكوين مناهج البحث لدى المفكرين من المتكلمين والفلاسفة"[١]. يفسر الفارابي الأولية والآخرية الواردة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[الحديد:٣]. يقول: "الأول من جهة أنه منه ويصدر عنه كل موجود لغيره، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية قربه منه، أول من جهة أن كل زماني ينسب إليه بكون، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء، ووجد إذ وجد معه لا فيه"[٢]. وهذا تفسير أفلطوني مبني على القول بقدم العالم، ويفسر الفارابي الملائكة فيقول: "صورة علمية، جواهرها علوم إبداعية قائمة بذواتها، تلحظ الأمر الأعلى فينطبع في هويتها ما تلحظ، وهي مطلقة، لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة، والروح البشرية تعاشرها في النوم"[٣]. وابن رشد الحفيد (ت:٥٩٥) يقول: "أن ما أخبر به الأنبياء عن الله واليوم الآخر لا حقيقة له، وإنما هو تخيل وتمثيل وأمثال مضروبة، لتفهيم عامة الناس ما ينتفعون به"![٤]. فابن رشد "أدخل في الشريعة التفسير الباطني الفلسفي، وذلك أنه هو شخصياً كان ينتمي إلى الفلاسفة الباطنيين الذين يزعمون أن للكتاب والسنة ظاهراً يخالف الباطن، وزعم أن لنصوص الشريعة ظاهر ومؤول[٥]، فالظاهر فرض على الجمهور، عليهم حمله على ظاهره، وترك تأويله، والمؤول هو فرض على العلماء[٦]، لا

(١) المصدر السابق.
(٢) فصوص الحكم، الفارابي: (ص:١٧٤- ١٧٥).
(٣) المصدر السابق: (ص:١٤٦).
(٤) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية: (٢٣٩/١).
(٥) أوليس هذا منهج بعض أصحاب التوجهات الفكرية اليوم وأمس، الذين يهربون من النص بتأويله ليوافق توجه عقولهم، لذلك هناك ارتباط بين الفلسفة والمسلك الفكري المسمى العقلاني، بل بعض أسسه من نتاج الفلسفة، لكن وكما سبقت الإشارة إلى أن التوجهات المنتمية للمسلك الفكري متحولة ومتشعبة ومتداخلة.
(٦) ما أشبه قول ابن رشد هذا بقول ناظم الجوهرة: وكل نص أوهم التشبيها *** أوله أو فوّض ورم تنزيهاً" ينظر: اللقاني، الجوهرة.

يحل لهم أن يُفصحوا بتأويله للجمهور"[1] ورد ابن تيمية هذا التقرير في نظرة الفيلسوف ابن رشد للتفسير فقال: "جعل فرض الجمهور هو اعتقاد الباطل الذي هو خلاف الحق، بما أنه جعل الحق هو خلاف ظاهره"[2]. وإخوان الصفا يفسرون (الملائكة) بأنها كواكب الأفلاك!! "إن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته..خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه، وسياسة بريته، وهم خلفاء الله في أفلاكه، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله في أرضه"[3]. وابن سينا يفسر قوله تعالى في سورة الناس:﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس:٦]. فيقول:"الجنّ هو الاستتار، والإنس هو الاستئناس، فالأمور المستترة هي الحواس الباطنة، والمستأنسة هي الحواس الظاهرة"[4].

ومن النوع الثاني: وهو تفسير القرآن بفلسفات اليونان التي لا تتعارض مع عقيدة المسلمين وشريعتهم، ظهر من أراد التوفيق بين الفلسفة والدين كالرازي(ت:٣١١) في مفاتيح الغيب، يحاول الرازي الجمع بين الدين والفلسفة: يرى الرازي أن الفلك الأعظم هو العرش[5]، وهذا منه محاولة الجمع بين الدين والفلسفة. "والرازى أول من تحدث عن مذهب النشوء والارتقاء، وأشاد ببطلانه، تحدث عن ذلك لدى قوله تعالى:﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾[الروم:٢٠]. فقرر أن التراب أبعد عن قبول الحياة من سائر الأجسام؛ لأن عناصره أبعد من المركبات، لان المركب بالتركيب أقرب درجة من الحيوان، والعناصر أبعدها التراب، ورتب الموجودات من أدناها إلى أعلاها: المعدن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الإنسان..ثم بيَّن أن نكتة (إذا الفجائية) في قوله تعالى:﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ الإشارة على أبطال التحول، وأن الإنسان خلق من أول نشأته إنسانا، لا أنه انتقل من مرتبة أخرى

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية: (٢٣٩/١)و(٢٨٦/٢).
(٢) المصدر السابق: (٢٣٩/١).
(٣) رسائل إخوان الصفا، إخوان الصفا: (٩٨/١).
(٤) جامع البدائع، (رسائل ابن سينا وعمر الخيام وغيرهما). الرسالة الرابعة، محمد حسن إسماعيل: ينظر: (ص:٣١-٣٤).
(٥) مفاتيح الغيب، الرازي: (٢٧١/١٤).

قبل الإنسانية"[1]. **وفي فلسفة الحقيقة الإنسانية** "الرازي يرى أن الحقيقة الإنسانية هي الروح، وأن الإنسان ليس مجموع هذه البنية، ويحتج على ذلك بان أجزاء هذه البنية في الذوبان والانحلال والتبدل، والإنسان المخصوص باق من أول عمره إلى ءاخره، والباقي مغاير للمتبدل، ويستنتج من هذا حقيقة الإنسان هي الروح، وهو مذهب النَّظْام، **البنية ليست شرطاً للحياة** ذكر في مفاتيح الغيب، وفي المحصل، أن البنية ليست شرطاً لوجود الحياة، خلافا للمعتزلة والفلاسفة، ويعني بالبنية الجسم المتعارف، وقد بنى على هذا أنه يجوز تعلق الحياة ببعض الجسم"[2].

يقول الذهبي: "الفريق المسالم للفلسفة، المصدِّق بكل ما فيها من نظريات وآراء، فإنه لما فسَّر بالقرآن..وضع الآراء الفلسفية أمام عينيه، ثم نظر من خلالها إلى القرآن. فشرح نصوصه على حسب ما تمليه عليه نزعته الفلسفية..وأخيراً وجدنا أنفسنا أمام شروح لبعض آيات القرآن، هي في الحقيقة شروح لبعض النظريات الفلسفية، قُصِدَ بها تدعيم الفلسفة وخدمتها على حساب القرآن الكريم، الذى هو أصل الدين ومنبع تعاليمه"[3].

ومن النوع الثالث: وهي الفلسفة الحرة بتبني منهج تفكير الفلاسفة دون التقيد بقوانينهم، والذي في أصله مسلك إنساني في التعامل مع الوجود، والنظر من خلاله لكل ما يحدث حول الفيلسوف بمقتضى فلسفته هو للوجود، ولعل هذا أسلوبا فلسفيا حديثا في التعامل مع تفسير القرآن، لكنه كفكر فلسفي قديم. فقد أشار إليه فيلسوف معاصر وأقر سنه ١٩٧٩م أن ابن تيمية هو من أكبر فلاسفة العالم، أدرك سر المنطق الأرسطي، وبين أن هذا المنطق يفعل بشروط ميتافيزيقية وضعها أرسطو، فابن تيمية لم ينتقد المنطق بل انتقد الشروط الميتافيزيقية التي وضعها أرسطو، لذلك ابن تيمية أكبر فيلسوف في الحضارة العربية الإسلامية، وهو الذي مكن من تجاوز نظرية المعرفة المطابقة، والتي تعني أن الوجود شفاف، والعقل الإنساني يدرك حقيقته إدراكا مطلقا. فابن تيمية نفى ذلك، أولاً: لأن ذلك يتنافى مع الغيب، ثانياً: لأن ذلك غير صحيح

(١) الفخر الرازي في عالم الفلسفة، محمد السائح، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر أسست سنة ١٩٥٧ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد – الرباط – المغرب (العدد:١٢). إلكترونية.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: (٣٠٩/٢-٣١٠).

في المعرفة العلمية، وإلا لما تطورت المعرفة العلمية؛ فلو كان العقل الإنساني يدرك الحقيقة بإطلاق لكان ما اكتشفه من حقائق نهائي، ولم يتطور العلم! فالعلم يتطور؛ لأن ما يدركه العقل الإنساني ناقص دائما، هذه الحقائق هي التي بنى عليها ابن تيمية نظريته في المعرفة، وهي النظرية نفسها التي بني عليها ابن خلدون نظريته في المعرفة، وأن الوجود لا يرد إلى الإدراك، وإنما الإدراك هو إضاءة صغيرة على الوجود، فلا يمكن للعلم الإنساني أن يدرك الوجود كما هو وإنما يدرك منه صورة، وهذه الصورة متحولة متغيرة وهذا هو التقدم العلمي، الذي نقترب به من إدراك الحقيقة ولكن لن ندركها كاملة أبدا"[(١)].

المطلب الثاني: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفلسفي في تفسير القرآن الكريم.

لم أقف على مؤلفات معاصرة في التفسير الفلسفي من النوعين الأولين؛ الذي تبع فيه الفلاسفة المتقدمين فلسفة أفلاطون وأرسطو وأسقطوها على القرآن الكريم، أو حاولوا التوفيق بينها وبين الدين، لكن هناك من تأثر بهم وهو ضمن مسلك آخر كتفسير محمد أبو زيد الدمنهوري(ت:١٩٣٠) الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن[(٢)].

أم النوع الثالث وهي الفلسفة الحرة، لم يتوفر-فيما اطلعت عليه- تفسير معاصر من هذا النوع -يشار إليه- إلا تفسيرا واحدا بعنوان: **الجلي في التفسير**، للفيلسوف التونسي أبو يعرب المرزوقي، "والكتاب مصنف في تفسير القرآن الكريم مكون من ٣ أجزاء، وهو أول تفسير فلسفي للكتاب المبين..فلم يسبق للفلاسفة المسلمين في الماضي والحاضر ارتياد هذا المسلك، على الرغم أن النص المقدس هو المعين الذي خرجت منه الحضارة الإسلامية علوماً وممارسة ونمط وجود"[(٣)]. وهذا رأي مؤلف هذا التفسير.

---

(١) نظرية المعرفة عند ابن تيمية، أبو يعرب المرزوقي: https://m.facebook.com/watch/?v=٧٨٣٢٣٦٥٨٢١٥٣٥٣٣&_rdr

(٢) تفسيره ضمن المسلك الفكري وينتسب للمدرسة العقلية المعاصرة، وسيأتي الكلام عنه في حينه.

(٣) . https://al-maktaba.org/book/٣١٨٧١/٢٠١٥٣#p٩(٣ أجزاء من مشروع متواصل).

يقول أبو يعرب المرزوقى: "تفسير القرآن الكريم تفسيرًا فلسفيًّا يعني بالمعنى العميق للكلمة؛ ألا تكون مضامين أحد عصور الفكر الفلسفى أمرًا يعتبر حقيقة تطلب في النصّ القرآني الذي يعدّ ظاهرًا منها. فحقيقة النصّ القرآني ينبغى أن تكون أمرًا مطلوبًا وغير معلوم قبل عملية التفسير، وعلمها متجدّد أكثر من ديمومة تجدّد علم الكون"(١).

"إنّ التفسير المعاصر الذي يقدّمه أبو يعرب المرزوقي،.. لم يعتمد في تأسيسه على المنقول أو المأصول الفلسفي تراثيًّا كان أو حداثيًّا، بل أسسه وفق فلسفته الخاصّة، التي يستلهم في بناءاتها إشارات وإيماءات نصوص القرآن"(٢). ولعل أحد يسأل الفرق بين المسلك الفلسفي والمسلك الفكري، في تقسيم هذا البحث، والواقع أن الفرق في المنطلق فالمسلك الفكري أيديولوجي بلا ريب، والأيديولوجيا تريد أن تغير العالم ليطابقها!! أما المسلك الفلسفي من النوع الثالث والذي نتج عنه تفسير فلسفي معاصر ليس أيديولوجياً بل يقصد بمسلكه الانعتاق من الأدلجة، وقد ينجح وقد لا ينجح.

(١) فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي، أبو يعرب المرزوقي: (ص٣٢٠).
(٢)سلسلة التفسير الفلسفي للقرآن، التعريف تعريف مجمل بأبي يعرب المرزوقي، محمد كنفودي: https://tafsir.net/article/٥١٠٦/slst-at-tfsyr-al-flsfy-llqr-aan-١-t-ryfin-mjmlin-bajt-had-aby-y-rb-al-mrzwqy#_ftnref٢٦

المبحث الثالث: المسلك العلمي (العلم التجريبي) في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم المسلك العلمي في تفسير القرآن الكريم.

تأخر ظهور هذا المسلك في التفسير نسبياً عن المسالك الأخرى[1]، لأن العناية بعلوم الطبيعة من قبل علماء تفسير القرآن ظهرت في القرن الخامس، لأن هذا القرن ظهر فيه الاهتمام أكثر بالعلوم الطبيعية بعد الاختلاط بالأمم الأخرى، فالغزالي أبو حامد (ت:٥٠٥هـ)[2] كان يرى أن القرآن مشتمل على أصول جميع العلوم[3]، وأكثر من اعتنى بالتفسير العلمي وطبق تنظير من سبقوه فيه الرازي: (ت:٦٠٦هـ)[4] في تفسيره مفاتيح الغيب، في المقابل يرى الشاطبي(ت:٧٩٠هـ) أن القرآن لم يعرض إلا للمعارف الموجودة عند العرب، فيقول في المسألة الرابعة من مسائل النوع الثاني من المقاصد: "ما تقرر من أُمِّية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها –وهم العرب– ينبني عليه قواعد: منها: أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يُذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبعيات والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات، والمنطق وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح"[5]. **فالمسلك العلمي في**

(١) رغم أن هناك من جعل التفسير العلمي منذ عهد النبيﷺوجعل من ذلك آثار تفسيرية أراها بعيدة عن مقصد التفسير العلمي، وهو ظهور العلم بأمر سبق القرآن له، ولم يكن العرب في وقت التنزيل لهم صلة بأي علوم كما هو معلوم. ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار سقا: (ص:١٠١-١١٢).

(٢) "هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الفقيه الأصولي الفيلسوف له مصنفات كثيرة أبرزها المستصفى في أصول الفقه، وإحياء لوم الدين". ينظر: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ابن خلكان: (٢١٦/٤).

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي: (٢٨٩/١)؛ وجواهر القرآن، الغزالي: (ص:٢٥-٢٦).

(٤) هو محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين القرشي، برز في العلوم العقلية وأحد المهتمين بالفقه والتفسير والأصول له مصنفات عديدة، ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي: (ص:١٠٠).

(٥) ينظر: الموافقات، الشاطبي: (١٢٧/٢).

تفسير القرآن: هو عمد المفسر في تفسيره للقرآن إلى حمل آياته على مكتشفات العلوم التجريبية.

ولم يسجل التاريخ ظهورا للاهتمام بالعلوم الكونية كعصرنا الحاضر الحديث فهو عصر الثورة العلمية بمستويات لم تسبق على كل الأصعدة الطبية والتكنولوجية والفيزيائية والكيميائية، وتفوق الغرب بذلك وسبق العرب بمفاوز لا تنكر، مما شكل رغبة عامة بالمواكبة فاتخذ المهتمون بالعلم الشرعي توجه إثبات تفوق القرآن، وإثبات أسبقيته في إقرار المسائل العلمية المعاصرة، فظهر بقوة مسلك التفسير العلمي، وانبثق عنه الإعجاز العلمي والذي معناه: "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى"[(١)].

"فالكثير من آيات القرآن الكريم هي أنباء عن أمور دقيقة في النفس والكون، هذه الأنباء قد تكون صريحة، وقد تكون إشارة واضحة الدلالة في سياق ما للآيات. أجمل عز وجل الخبر للعالمين عن أنه سيكشف ما في الكون من أسرار لحكمة أرادها سبحانه"[(٢)]. فقال:﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ [النمل:٩٣]."في أنفسكم والسماء والأرض والرزق"[(٣)]. قال أبو حيان:"تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته تضطرهم إلى معرفتها، والإقرار أنها آيات الله، وقيل: آيات في أنفسكم وسائر ما خلق مثل قوله:﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[فصلت: ٥٣]"[(٤)]. من هذه الآيات يظهر أن من مقاصد القرآن الكريم مخاطبة العقل. قال ابن تيمية: "وأما الطريق العياني فهو أن يرى العباد من الآيات

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المصلح: (ص: ٢٨). وعرفه نور الدين عتر: "موافقة القرآن الكريم أو السنة النبوية لحقائق العلم التجريبي الحديث". فكر المسلم وتحديات الألفية الثالثة: (ص:١٦٦).
(٢) الإعجاز العلمي في القراءات، الكناني: (ص:٤٢٩).
(٣) جامع البيان، الطبري: (١٨٨/٢٠).
(٤) البحر المحيط، أبو حيان: (١٠٣٣/٧).

الآفاقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حق"[(١)]. وقال ابن كثير:"أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله بدلائل خارجية في الآفاق"[(٢)].

ولتأخر ظهور الإعجاز العلمي بشكله المعاصر؛ كان الناس منه على مواقف ثلاثة، فمنعه بعضهم على الإطلاق وأجازه آخرون على الإطلاق، وتوسط من فَصَّلَ في التعامل معه ضمن ضوابط وضعوها تضمن ربط الآيات بالحقائق العلمية اليقينية الثابتة[(٣)]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الباحثين يضخم مسألة إعجاز القرآن جداً، ثم يستنكر ربط العلم التجريبي بإعجاز القرآن، ذلك أصبح من المسائل التي كثر الكلام فيها وانتابها الشد والجذب لتتحول لفلسفة كلامية وسفسطة، ولو اختزلنا ما كتب فيها فلن يخرج عن توجهين مانع ومقر، وثالث متوسط بينها. **ولمحاولة قطع تلك السفسطات الكثيرة جداً والمستمرة ظهوراً بتجديد الكلام المقتول قولاً، أنبه إلى ما يأتي:**

١- إن القول بالإعجاز ظهر متأخرا! على يد النظام [(٤)]. فكل ما يرتبط به اجتهاد، فإذا بني اجتهاد على اجتهاد ليس لأحد أن يقبل أحدهما ويرفض الآخر مادام لا يتعارض مع أصل ثابت، بإعلاء الأول وإعطائه مكانة القرآن! وخفض الآخر لأنه معاصر ويسهل قلبه والتغول عليه! **وللتوضيح أقول**: القرآن معجز، لأنه قرآن فقط، وثبت عجز من تحدوا به وانتهى الأمر، فلن يضره الآن من أنكر التحدي به وأنكر إعجازه فالتاريخ قد مضى وعلت كلمة الله والحمد له وحده. وإعجاز القرآن مبحث

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (١٨٩/١٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: (١٨٧/٧).
(٣) وهذه الضوابط هي: "ثبوت النص، وثبوت الحقيقة ثبوتا قاطعا، ووجود الإشارة الى هذه الحقيقة في النص بشكل واضح، متوافق مع المعنى اللغوي". ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المصلح: (ص:٢٧)و(ص:٣٠) إلى نهاية الموضوع.
(٤) "النظام: شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم". سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٨٨/٢٠).

نظري رصد جانبا من التاريخ وصفا، وخدم الواقع بكونه اجتهادا يريد أن يستنطق القرآن الكريم لغرض المفسر من زيادة إقراره عند المعاند المعاصر لذلك المفسر، وقد حصل ذلك أيضا وانتهى الأمر. واليوم الباحثون في الإعجاز القرآني إما مغالون مبالغون في العلوم الطبيعية التجريبية الغربية، ويريدون من القرآن أن يوافقها لعدة أسباب ذاتية: إما لعاطفتهم الدينية، أو حتى لا يَقِلَّ شأن القرآن في نفوسهم، أو ثقة أن بالقرآن كل العلوم على رأي الغزالي ومن وافقه وتبعه، فتظهر المبالغة والتكلف في تفسير الآيات بما لاتحتمله: لغويا، أو سياقيا، أو أي مخالفة لأصول التفسير ظاهرة. والصنف الآخر من الباحثين، من تتحقق لديهم مسألة من العلم التجريبي، ويستشعرون إشارة القرآن إليها فيبحثون بكلام الله عما يدل عليها، دون مخالفة للغة القرآن ولا لسياقه، ولا لأي أصل من أصول تفسيره. ودافعهم بذلك الإيمان بإعجاز القرآن وتحقق تلك المسألة لديهم. وعليه لا سبيل للإنكار المطلق على أي من الفريقين ما دامت كل المسألة في دائرة الاجتهاد.

٢- لا يترتب على الخطأ في الاجتهاد في باب الإعجاز العلمي خلل يرجع على القرآن الكريم تاريخيا ولا حتى معاصرا لذلك الاجتهاد، الخطأ يرجع للمجتهد، وبالرد عليه وتبيين الخطأ عنده، اجتهاد آخر يبين مكانة القرآن، وقصور المجتهد، وكل هذا ميدان لو لم يفتحه المخْطئ في اجتهاده لما كان. فالإنكار الشديد هو نوع من الغلو وهو تعطيل لحركة الاجتهاد بذريعة واهية وهي المساس بمكانة القرآن؛ وكأن من حفظ القرآن ومكانته أناس كالمنكرين! وإنما حفظه رب العالمين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. أو بذريعة فتح شبهة للطاعنين، وهل الطعن في اجتهاد أحدهم هو طعن في القرآن؟! إن ظن الطاعن المشغب في اجتهاد باحث أنه ينال من القرآن الكريم! جهل بحقيقة القرآن وتباينه عن الشارحين له جميعا خلا رسول الله ﷺ، تفسير النص ليس هو النص، ثم المشكلة الأكبر أن يحصل استخذاء أمام ذلك الطاعن المخالف عند بعض المدافعين، فيقولون لذات المجتهد قد فتحت علينا بابا للطعن في القرآن؟! فيخلصون لسد باب الاجتهاد مطلقا.

هذا المسلك بعيد –ودون مقاربة– عن حقيقة القرآن، المباينة لحقيقة الاجتهاد، وإثبات إعجاز القرآن الكريم في جوانبه المختلفة لأي باحث لا يرتقي إلا أن يسمى اجتهادا، سواء أفاد ما يبهر العقول وتشرئب إليه الأنفس، أو كان أقل من ذلك، أو تبين خطأ صاحبه في استدلاله ومقارنته دون قصد.

المطلب الثاني: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك العلمي في تفسير القرآن الكريم.

ومن التفاسير المعاصرة المعتنية بذلك والتي فيها مبالغة في تفسير كل آية بمكتشف معاصر تفسير طنطاوي جوهري المذي أسماه الجواهر في تفسير القرآن الكريم: المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات. يقول:"إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض عَيْن على كل قادر. إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدى مَن يشاء إلى صراط مستقيم"[(١)]. وفي كلامه مبالة ظاهرة، وانتقاص من قيمة علم الفقه.

ومن النوع المتوسط الذي يظهر فيه تحقيق المسائل المكتشفة لتطابق معنى مما تدل عليه الآية القرآنية الأبحاث التي تتناول آية قرآنية أو مجموعة آيات في الإعجاز العلمي وهي كثيرة جداً. ومن هذا المسلك كتاب النبأ العظيم، لمحمد دراز، وفتح العليم في تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه الإعجاز العلمي فيه، لأحمد شوقي إبراهيم، وموسوعة التفسير العلمي، للنجار، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لمحمد راتب، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي[(٢)].

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) رغم ذلك توجد بعض الأخطاء لاعتماد بعض الباحثين كالكحيل والنجار ومحمد راتب وابن عبد العزيز اليماني على أبحاث نظرية لم تثبت علميا، وقد تعقبهم بعض المنكرين للإعجاز كخالد منتصر، وعدنان إبراهيم، ورصدوا طوام علمية نسبوها للقرآن الكريم، ويبدو أن التوجه الفكري الأيديولوجي دفع بعضهم للتكلف وعدم التدقيق وأكثر من ذلك... .

المبحث الرابع: المسلك الفكري في تفسير القرآن الكريم.

لم يطرأ على الأمة الإسلامية متغير ومحرك أكبر من الفكر الإنساني وتوجهاته، وكل الأفكار التي تظهر في المجتمع الإسلامي جعلت من القرآن الكريم دليلاً على وجودهما ففسرته باتجاه أفكارها"إن المجتمع الإسلامي بعد الفتوحات ودخول أقوام ذات حضارات سابقة فيه وسقوط الخلافة الراشدة وقيام الدولة الأموية وتطور الأحداث الداخلية منذ الفتنة في زمن عثمان بن عفانﷺوما تلاه من أحداث القتال بين عليﷺ ومعاوية ابن أبي سفيانﷺوما انتهى إليه من ظهور الأحزاب السياسية..قد مر بتغيير اجتماعي وفكري داخلي محض، حاول كل طرف فيه أن يستخرج أدلة ما عنده من الأفكار والمقالات من القرآن الكريم باعتباره القاعدة العقيدية والحضارية التي كانت منطلق كل صاحب سياسة أو مقالة منها[١]."فعلى القارئ كما يهتم بقراءة التفسير القرآني المعين، عليه قراءة واقع المفسر سواء السياسي أو الفكري ليقف على الحد الفاصل ما بين حقيقة الدلالة القرآنية والدلالة المبتدعة من هذا المفسر أو ذاك"[٢].

المطلب الأول: مفهوم المسلك الفكري في تفسير القرآن.

وهذا المسلك هو تماهي ذاتية الإنسان مع المقاصد العامة الشرعية وتغليبها عليها، فبدلا أن يخضع ذاته لفكر القرآن يريد أن يخضع القرآن لفكره؛ لإخضاع الناس له، وهذا الإخضاع بحسب ما يعلو لدى الإنسان من جوانب ذاته، فقد تظهر ذاته في السياسة والحكم، وقد تظهر في الدين والمذهب، وقد تظهر في غير ذلك. كان ظهور المسلك الفكري في التفسير منذ دخل أول خلاف سياسي في الإسلام، حيث لجأت فرقة المتشيعين لتفسير القرآن بما يخدم فرقتهم، ولعلهم "انشط الطوائف في تفسير القرآن تفسيراً فكرياً سياسيا مذهبيا. "وغالى البعض في هذا المجال مغالاة سيئة"[٣]. حتى وصفهم المستشرق جولدتسيهر"تفسير الحزبي المتعصب"[٤].

(١) تطور تفسير القرآن قراءة جديدة، محسن عبد الحميد: (ص: ٩٩).
(٢) أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عبدالله علي عباس: (ص:١٩).
(٣) خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده: (ص:٢٤٩).
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تسهير: (ص:٣١٤).

ووازتهم فرقة الخوارج الذين فسروا آيات القرآن بما يخدم فرقتهم، فظهرت لهم تفسيرات أيديولوجية[١] للقرآن الكريم، هدفها إضفاء الشرعية على هذه الفرق من أصحابها، وكذا صنيع المتكلمين الذين"يلجؤون إلى تأويلاتهم حينما يصادفون نصوصا من الكتاب والسنة، لا تتفق مع آرائهم، فيسعون بشتى أنواع التأويلات ليخرجوا النصوص عما سيقت له..وليطابقوها على المعاني التي يريدون إثباتها..وكثيرا ما يحمِّلون النصوص ما ليس تتضمنه من المعاني المتكلفة ليدفعوا بها معارضاً..أو ليؤيدوا بها رأيا"[٢]. "إن التحليل العميق لانحرافات المعتزلة في توجيه النص القرآني يبين لنا أن هذا الانحراف لم يأت من ترف عقلي بقدر ما هو ناجم عن صراع فكري لهذه الفرقة مع فرق أخرى"[٣]. "وعلم الكلام لم ينشأ بعيدا عن وهج الفكر الفلسفي ففي مراحل تطوره في القرنين الأول والثاني على يد القدرية أولا ثم ورثتهم المعتزلة، لم يستطع أن يوفر لنفسه أدوات عقلية كافية"[٤] وصار هذا المسلك لكل من يريد أن يثبت جديده سواء أكان سياسيا[٥] أو دينيا أو اجتماعيا، أو أمميا، **وقد تفطن العلماء سابقا للمسلك الفكري**

(١) "فهي بمعناها الخاص منظومة الأفكار التي تتجلى في كتابات مؤلف ما تعكس نظرته لنفسه وللآخرين، بشكل مدرك أو بشكل غير مدرك. أما معناها العام: فهي منظومة الأفكار العامة السائدة في المجتمع" الاتحاد السوفييتي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: (ص:٦٩٠). "نقول إن فلانا ينظر إلى الأشياء نظرة أيديلوجية. نعني أنه يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائما مطابقة لما يعتقد أنه الحق. يتعارض الأيديولوجي مع الفكر الموضوعي". مفهوم الايديولوجيا، عبد الله العروي: (ص:١٠).

(٢) أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ (ص:٥٥).

(٣) أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عبدالله علي عباس: (ص:١٩).

(٤) المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، محمد العريبي: (ص:٤).

(٥)"ارتبط الخطاب السياسي بالبلاغة منذ السفسطائيين الذين استخدموا البيان والمحسنات البديعية كأدوات إقناع باعتبار ما للغة من دور بالنسبة لكل خطاب إيديولوجي أو سياسي". الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية، محمد سبيلا: (ص: ١٥٢).

في التفسير فيقول القرطبي(ت: ٦٧١هـ) في وجه النهي عن التفسير: "وإنما النهي يحمل على أحد وجهين: أحدهما- أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل في طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى"[(١)]. ويشير ابن تيمية (ت:٧٢٨) إلى هذا المسلك الفكري في تفسير القرآن فيقول: "وأعظم غلطا..من لا يكون قصده معرفة مراد الله؛ بل قصده تأويل الآية بما يدفع خصمه عن الاحتجاج بها. وهؤلاء يقعون في أنواع من التحريف ولهذا جوز من جوز منهم أن تتأول الآية بخلاف تأويل السلف"[(٢)]. "وحامل الإيديولوجيا هو أول ضحاياها، وأول المصدقين بها. فإذا لم تنطل الإيديولوجيا على صاحبها أو منتجها قبل غيره فإنها لا يمكن أن تنطلي على الآخرين"[(٣)]. وصدق الله ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

إن القرآن الكريم كلام إعجازي في كل شأنه ومن شأنه صناعة فكر المسلم وتقويمه[(٤)]، لذلك كان لابد من أن يسلم مسلكه من أي توجه إنساني فكري أو اجتماعي أو سياسي أو علمي، حتى يصل المفسر إلى غاية المدلول. إن تفسير القرآن الكريم لا يصح أن يتجه نحو فكر الإنسان! بمعنى أنه لا يجب أن توضع إجابات مسبقة ثم يؤتى بالآيات أدلة عليها، ثم لا يجب أن يبنى كتاب في التفسير على هذا الوجه؛ فتجده كتابا في التفسير لكنه يدفع القارئ لغرض المفسر لتعظيم توجه معين أو تقرير

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٣٣/١).
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (٩٥/١٥).
(٣) محمد سبيلا، الايديولوجيا نحو نظرة تكاملية: (ص:٧٩).
(٤) وهذا مشروع بحثي أعمل عليه، هدفه اظهار أن القرآن يريد صناعة فكر المتلقي.

فكر معين، ويظهر ذلك في كل الاتجاهات التي تناولت تفسير القرآن لخدمة توجهاتها، وتجده في توسعات بعض التفاسير التي تبنت توجه الرواية أو اللغة. ويمكن اختبار ذلك في مؤلفات التفسير من خلال السؤال الآتي: هل يغلب منهج فكر القرآن عند المفسر؟ أم يسبق فكر المفسر فيحمل الآيات عليه؟ لكن بدراسة تاريخية للموروث التفسيري يظهر تجاذبه بين اتجاهات مختلفة –كما سبق بيانه– منها الحق ومنها دون ذلك، وقد أثر ذلك على مفهوم التفسير إلى اليوم. لذلك اتجه التفسير المعاصر نحو مسالك أفكار السابقين واستحدث أنواعا من التفسير بهذا المسلك نحو فكره هو. وإن كانت بعض تلك الاتجاهات مهم إقرارها في ذاتها، لكن لا يجب أن يكون تفسير القرآن وسيلة لها! فالتفسير غاية الغايات به تصلح الأفكار وتعلم العلوم.

وكان من المعاصرين من سبق إلى التنبيه لذلك. يقول محمد عبده(ت:١٣٢٢هـ) عن التفاسير بهذا المسلك:"تخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي"[(١)].

وتكلم الذهبي (ت:١٣٩٧هـ) عن هذا المسلك فقال:"يرجع الخطأ في التفسير بالرأي – غالباً – إلى جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان،..الجهة الأولى: أن يعتقد المفسِّر معنى من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذى يعتقده. الجهة الثانية: أن يفسِّر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه مَنْ كان مِنَ الناطقين بلغة العرب. وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزَّل عليه، والمخاطَب به. فالجهة الأولى: مراعى فيها المعنى الذي يعتقده المفسِّر من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان. والجهة الثانية: مراعى فيها مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به العربى، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به والمخاطَب، وسياق الكلام" [(٢)].

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا: (١/١٨).
(٢) التفسير والمفسرون، الذهبي: (١/٢٠٠).

ويقول الألباني محدث العصر(ت:١٤٢٠هـ): "فيستقل بعض المتأخرين في تفسيرها تطبيقاً للآية على المذهب، وهذه مسألة خطيرة جداً، حيث تفسر الآيات تأييداً للمذهب وعلماء التفسير فسروها على غير ما فسرها أهل ذلك المذهب"(١). وباستحضار الخط الزمني لهذا المسلك، ففي القرن الأول وبظهور التشيع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بدأ تفسير القرآن بهذا المسلك، متزامنا مع الخوارج عليه؛ الذين فسروا القرآن بما يناسب فكرهم. وفي القرن الثاني ظهرت فرقة المعتزلة(٢) وبدأت بتفسير القرآن الكريم بموجب أصولها في الاعتقاد، وبدأت بعد هذا العصر المؤلفات في هذه الأفكار وأبرز من فسر القرآن كاملاً ليثبت عقيدة المعتزلة الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) في الكشاف، وكل هذه الفرق المذكورة وغيرها ليستقيم لها التفسير تغض من قيمة السنة النبوية، وتستشهد بها إذا خدمت توجهها، وإذا خالفتها أعرضت عنها، وكان من الحيل العقلية في التعامل مع السنة التفريق بين المتواتر والأحاد(٣)، فالآحاد ليس حجة في العقائد عند الأيديولوجيين، وبذلك يقنعون الآخرين بشرعية أقوالهم بالعقل، وواقع نقل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن الآحاد منها كالمتواتر في ثبوت حكمه اعتقادا أو فقها، إن تحققت صحته. وامتدت بعض تلك الفرق لعصرنا الحاضر وظهرت لها تفسيرات للقرآن الكريم -كما سيأتي ذكره لاحقا-. وفي عصرنا الحاضر بقيت طريقة المعتزلة في التفكير وإن حملت من فرق أخرى لأسماء مختلفة، فظهرت تفسيرات تفرق بين السنة في الاعتداد إذا وافقت أصول الاعتقاد أو خالفته، وبقي من يتكلم في الغيبيات بمقتضى تصورات العقل الإنساني القاصر! حتى تكلموا كما تكلم أسلافهم في ذات الله وصفاته، وباقي

(١) كيف يجب علينا أن نفسر القرآن، الألباني: (٣٩٦/٣٧) رقم: ٤٠٣٠٩.
(٢) المعتزلة هي: فرقة كلامية عقلانية تقدم العقل على النقل. يلجأ المعتزلة إلى تأويل النص القرآني إذا تعارض مع منهجهم العقلي المعتزلي، ومما أولته المعتزلة، صفات الله عز وجل الذاتية. ينظر: الكشاف، الزمخشري: (٥٤/٢).
(٣) وهي شبهة رائجة، قد أجاب عنها العلماء"فذهب بعضهم إلى أنه لا تثبت العقيدة إلا بالدليل القطعي، بالآية أو الحديث المتواتر تواتراً حقيقياً، إن كان هذا الدليل لايحتمل التأويل، وادعوا أن هذا مما اتفق عليه عند علماء الأصول، وأن أحاديث الآحاد لاتفيد العلم، وأنها لاتثبت بها عقيدة! إن هذا القول-وإن قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام- فإنه منتقض من وجوه عديدة..". ينظر: وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، الألباني: (ص:٧).

الغيبيات، وتناولوا تفسير القرآن الكريم بمقتضى ذلك. وهكذا نرى أن أغلب التفسير المعاصر مسلكه فكري، فإما أنه تبع التوجهات السابقة دون انتقاء تعصبا لها، أو أنه اتخذ ردة فعل مناقضة تماما لها، فخرج عن كل الضوابط أو جلها كما عند المستشرقين والحداثيين وغيرهم..أو تجديدي لم يستطع إلا أن يُسقط مظاهر الواقع المعاصر على القرآن فكان أيديولوجيا واقعيا وهو كما عند مدرسة المنار والتوجه المغالي في التفسير العلمي غير المحرر.

وقد أخرت الكلام عن المسلك الفكري في ترتيب البحث مع أنه أكثر تأثيرا وأوسع انتشاراً. لعدة أمور:

أولهاً: أن متمثل هذا المسلك قد يخلط معه واحدا أو أكثر من المسالك الأخرى، فقد يفسر القرآن الكريم دون أن يخرج عن المسلك الأصولي، لكنه يتوجه بتفسيره نحو فكره الأيديولوجي، وقد يكون متفلسفا أروسطويا، وأيديولوجيا اعتقاديا في آن معا، وقد يعتني بالتفسير العلمي وهو عقلاني التفكير، فالمسلك الفكري لا ضير عند متبنيه بقبول أي من المسالك الأخرى. **ثانياً:** أن كل توجه فكري نتج عنه حركة تفسيرية كبيرة تدور في مداره، وكل هذه التوجهات من المفترض أن تدرس من منظور التوجه الفكري دون إغفال للمسالك السابقة لوضعها في مكانها ووصفها بدقة ومناقشتها بإنصاف وتفنيدها وتقويمها، وقد تناولت واحد منها[1]. **ثالثاً:** كان الجزء التالي من بحثي دراسة نقدية وتقويمية لتفسير المدرسة العقلية الحديثة على أنه ناتج من المسلك الفكري، ومؤثر جدا اليوم في أفكار ظهرت من جديد وبقوة كما عند عدنان إبراهيم، لكن فصلت هذا الجزء في بحث مستقل لطول المادة العلمية. فحسن تأخير المسلك الفكري لهذه المسوغات.

إن خطورة المسلك الفكري في تناول القرآن الكريم بالتفسير؛ والذي يخلط بين المسالك السابقة بحسب بيئة المفسر-كما سبقت الإشارة إليه- كونه يستخدمها في

(١) حيث تناولت مسلك التفسير عنه مدرسة المنار في بحث مستقل، لما له من أثر في توجه بعض من يتناول التفسير في حاضرنا كعدنان إبراهيم.

تقرير غاياته هو، وهذه الغايات متشعبة وممزوجة مع غايات ومقاصد القرآن الكريم، وهنا خطورته! حيث ينطلق أصحابه من مفاهيمهم الخاصة عن السياسة أو الدين أو المجتمع أو من الإنسان، مسقطين ذلك على القرآن ليستنطقوا آياته بما في أفكارهم. وبذلك فإن المفسر بهذا المسلك سيوجِّه كل طاقاته لتقرير فكره الذاتي لا ما يريد القرآن الكريم تقريره، ولا يبحث عن مراد الله عز وجل من الآية بقدر ما يسعى ليقرر مراده هو! ونستطيع أن نشير بالحكم على إنتاج المسلك الفكري في التفسير بإن: فهمه متقاطع مع السياق القرآني، ومتعصب لأثبات ذاته بقسوة أو بشدة، ومتكلف وفيه من الغموض ما يجعله نصا متوجها لا تفسيرا مبسطا. كذلك هو "مليء بالشبه والتساؤلات والمآخذ، ومؤداه غير محمود في الواقع ولا في السياسة ولا في العلم ولا في الدين، فهو في السياسة يُسَخِّر الآيات ليدعم وجود الكيان السياسي أو يحاربه، وهو في العلم التجريبي يُسَخِّر الآيات ليدعم مكتشفات الغرب بإعلاءهم مع ضعف في الانتماء للقرآن، وهو في الدين يعزز فكره العقلي، أو الحزبي، أو الأفكار الدخيلة مثل الماركسية والعلمانية وأشباهها"(١).

ويمكن تعريف المسلك الفكري في تفسير القرآن بأنه: استخدام المفسر لمعنى القرآن لمراده هو ضمن منظومة فكرية ذاتية خاصة به لها أهداف ومقاصد ومنهج، وقد تكون دينية أو فلسفية أو سياسية أو علمية أو اجتماعية أو إصلاحية أو غير ذلك. ونتاجه التفسيري يوضع ليخدم أفكار واضعه فرداً كان أم جماعة، سواء أكان فكراً سياسياً، أو دينياً، أو اجتماعياً. وبعبارة أخرى: "وضع التفسير للإجابة عن أسئلة مطروحة مسبقاً لها عند المفسر أو الدارس إجابات جاهزة، ويكون عمل المفسر تأكيداً لها عبر بناء عقلاني يعرض نفسه بصفة نقدية"(٢).

فالمفسر بهذا المسلك: "يدخل إلى عالم النص مزوداً بمعرفة مسبقة لما يطلب منه، أو بإجابة النص على أسئلته. يعكس أو يدل على ثبات المعنى مطلقاً أو مرحلياً، هو..نوع من الأحكام المسبقة،..ولعل الخطأ البيِّن أو العيب الواضح في هذا التفسير..أنه ينسى

(١) ينظر: الأيديولوجيا وتفسير القرآن نقد وتقويم، الكناني: (ص:١٢٣-١٢٤).
(٢) ملامح التنوير، محمود عزب: (ص: ٩٨).

قيامه بإيقاف حركة الزمن من الماضي إلى لحظة وجوده، ووجود ظروفه، وعوامل زمانه ومكانه، بل ومكونات المفسر الفردية والشخصية وكل ذلك متحرك حادث في الزمان، ويجعله ثابتاً أبدياً ساكناً والمفسر بذلك يغالط ويناقض هدفه الأصلي وهو استنطاق النص للرد على أسئلته المسبقة. وعليه إذاً ألا ينسى أن كل عصر، وكل بيئة ومكان سيكون لها أسئلتها، وأنه يستحيل ثبات الصورة والزمان والمكان"[1]. إذا لا يصح أن يسمى التفسير بالمسلك الفكري، تفسيرا للقرآن الكريم، بل هو تفسير لفكر المفسر به.

المطلب الثاني: الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري.

فالمسلك الفكري –كما سبقت الإشارة– أكثر ما يرتبط بالتوجه السياسي، والتوجه العقدي المتعصب وهو كذلك يرتبط بالتوجه العلمي، والتوجه الفلسفي. "وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك ولكن مقصوده أن يلبس على خصمه"[2]. "فبعض المفسرين أخرج النص عن دلالته التي وضع لها بدعوى الروح العلمية في التفسير تأثرا من المفسر بالنزعة المادية الغربية..وما وقع به بعض المفسرين تأثراً بواقع سياسي مظلم من القطع بالمعنى لبعض الدلالات القرآنية التي جاءت في سياق العموم كآيات الحاكمية بأنها عامة في نفي الإيمان عن كل من لم يحكّم الشريعة"[3]. فيسقطها على واقعه هو ويخصصها لغرضه الأيديولوجي.

فمن التوجهات الفكرية السياسية[4] المعاصرة التي تناولت القرآن بالتفسير، تفاسير الشيعة الإمامية التي وجهت القرآن لإثبات عقيدتها، التي تود لو استطاعت أن

(١) المصدر السابق.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٣٣/١).
(٣) أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عبدالله علي عباس: (ص:١).
(٤) فالسياسي "لا يحكم عليها من زاوية الحق والباطل، وإنما يصفها فقط بالنظر إلى فعاليتها، إلى قدرتها على استمالة الناس والاقتراب من أهدافها. يرى المتكلم أدلوجته الخاصة عقيدة تعبر عن الوفاء والتضحية والتسامي ويرى في أدلوجات الخصم أقنعة تتستر وراءها نوايا خافية لا واعية يحجبها أصحابها حتى على أنفسهم". مفهوم الايديولوجيا، عبد الله العروي: (ص: ١٠).

تفسر كل آية لإثبات أحقية علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– بالخلافة! على أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– ويعد هذا تأسيسا لهذا الاتجاه في التفسير، وأصبح مسوغا لتوجهات سياسية لتفسير القرآن نحو أغراضها، والعجب أن يقعَّد لمثل هذا حتى يجيئ عصرنا بأعجب مما كان في الماضي بوضع أسس وضوابط للتفسير السياسي(١)!!.

ومن تفاسير الشيعة تفسير الحسن العسكري وهو امتداد لفكرهم القديم. "وجدت أن السياسيين المعاصرين من الشيعة من أصحاب العلم الشرعي لا ينفك أحدهم من أن ينتصر لمذهبه من خلال توجيه النصوص القرآنيه توجيها يعزز مكانتهم السياسية في العالم الإسلامي باعتبارهم التابعين لمن كان مدارا للخطاب القرآني دون غيره من الصحابة وهو الإمام علي (رضي االله عنه) ويرون روايات ضعيفة على ما يريدون الإستدلال به.."(٢) أما تفاسير الخوارج، فمنها هيمان الزاد إلى دار المعاد لطفيش، جواهر التفسير للخليلي. "وممن نحى هذا المنحى في التفسير تيار المنار فقد مهد لبروز دلالات تستفاد لمقاومة الاستعمار ومواجهة حكام البلاد الإسلامية"(٣). وكذلك بعض الجماعات الحزبية الحديثة التي أنتجت في التفسير–ولا تخفى على أحد– يقول عنه عبدالله علي عباس عن تفسيرها المشهور:"يخرج في بعض سياقاته عن حقيقة الدلالة القرآنية عند اقتطاعها عن الدلالات الأخرى إلى افتراضات عقلية ناجمة عن إرهاق نفسي عاشه المفسر في ظل نظام سياسي..ومن ذلك تعويله في التفريق ما بين دلالتي الإيمان والكفر على أن المعيار في إثبات الأولى ونفي الثانية هو العمل الذي يراه أبلغ من القول في ذلك مخالفا ما عليه محققي الأمة من التفريق ما بين الاعتقاد القلبي الذي به يثبت الإيمان أو ينتفي وما بين العمل الذي لا دخل له في الاعتقاد وهذا ما تشهد

(١) ينظر مثلا: التفسير السياسي للقرآن دراسة في المبادئ المعرفية، حسني وآخرون. ط١، بيروت، ٢٠١٨م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. وينظر: الاتجاه السياسي في تفسير القرآن؛ تَعْرِيفٌ وتأْرِيخٌ وتأْصيل، رأفت المصري، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد: ١٩٠٠.

(٢) أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عبدالله علي عباس: (ص:١١).

(٣) الإنسان والقرآن، إحميدة النيفر: (ص:٨٢).

عليه النصوص الكثيرة من القرآن والسنة"[١]." وكل هذه التعابير القاسية في تفسير آيات الحاكمية من قِبَلِه إنما هي انعكاس..للوافع السياسي الذي عاشه"[٢].

ومن الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري التوجه الاستشراقي[٣]، وقد انبثقت جهوده بمزج الدافع مع النتاج العلمي، بما تعرضه المدارس التفسيرية. ومن أهم الدراسات التي أنتجوها: كتاب مذاهب التفسير الإسلامي لأجنتس جولدتسهر (ت:١٩٢١م) وكتاب تاريخ القرآن للألماني تيودورنولدكه(ت:١٩٣١م). فقد ضمنوها كثيرا من الآيات التي وجهوها نحو فكرهم "فالمنهج الذي سلكة المستشرقون الأوائل كان يهدف إلى إبراز صلة الفكر الفلسفي والديني الإسلامي بنشوء الفلسفة الغربية واللاهوت المسيحي، وتبع الباحثون العرب هذا المنهج انطلاقا من خلفيات قومية ضيقة تهدف إلى إبراز فضل العرب على الحضارة الغربية"[٤].

ومن الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري العقدي، نتاج متعصبة المتكلمين[٥] المعاصرين، فهم امتداد لأسلافهم، ولم ينتجوا تفسيرا يشار إليه لكن

(١) أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عبدالله علي عباس: (ص:١٩).
(٢) المصدر السابق: (ص:١٠).
(٣) "الشيء المؤكّد أن الاستشراق ولد تحت تأثير سياق حضاري . ديني . سياسي في الغرب، أي تحت تأثير نمطيات القرون الوسطى عن الاسلام في العالم الغربي، وهي صور نمطية بالغة البعد عن الواقع في بعض الاحيان، ومشحونة بموقف عدائي أحياناً أخرى..على خط آخر بدأ الاستشراق نشاطه في الغالب بدافع ديني بغية التبشير بالمسيحية في آسيا والعالم الإسلامي، وهو ما تؤكّده الدراسات التاريخية . الدينية أيضاً..وظّف الغرب المستعمر تياراً كبيراً من المستشرقين في مؤسّساته خدمةً لمصالحه التوسعية، وشغل عدد كبير منهم مناصب هامة على هذا الصعيد. هذا..لا يمكن تجاوزه في قراءة الاستشراق". الاستشراق وتاريخيّة التفسير القرآني مع جولدتسيهر في "مذاهب التفسير الإسلامي، حيدر حب الله ": (ص:٣) http://hobbollah.com/include/content/files/maqalat/١٢٧_p_١٣٧٥٥٢٩٣٣٥.pdf
(٤) المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، محمد العربي: (ص:٣).
(٥) ومن نتائج دخول الفلسفة كمنهج يتناول الأمور بالنظرة التحليلية العقلية إلى الأمة الإسلامية ظهور علم الكلام الذي تناول تفسير القرآن باستنطاقه ليقر معتقدات مبناها فلسفي كتفاسير=

تناولهم للآيات في دعم توجههم مبثوثة في كتبهم. وكذا توجه التفاسير الصوفية الإشارية[١] الغنوصية[٢] الطرقية، وكل هؤلاء تفسيراتهم هي توجه فكري أيديولوجي مستقر عندهم لتصور سابق يسقطونه على الآيات. رغم قولهم بظاهر المعاني مع هذه الإشارات، فلا شك أن للقرآن معان متعددة في سياق واحد فهو ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٥]. ذلك مقتضى البلاغة العربية، فهناك المعنى، ومعنى المعنى[٣]، لكن الإشكالية هي في التوجه الصوفي ذاته حيث يوطن نفسه على أشياء باطنة يراها معارف ثم يجعل القرآن دليلا عليها بالأسلوب الإشاري. فهل يصح أن يسمى ما أنتجوه حيال ذلك تفسيرا للقرآن الكريم؟!، أقول كلا! بل هو استدلال بالقرآن على تصوراتهم المستقرة عندهم سواء وجد لها ما استشهدوا به من القرآن أو لم يوجد. كتفسير القشيري لطائف الإشارات[٤]، وتفسير ابن عربي [٥] "هذا التفسير جمع مؤلفه فيه بين التفسير الصوفى النظري، وبين التفسير الإشاري، ولم يتعرض فيه للكلام عن التفسير الظاهر بحال من الأحوال. أما ما فيه من التفسير الصوفي النظري: فغالبه يقوم

= المعتزلة وتفاسير الأشاعرة، لذلك جعلت نتاج علم الكلام في التفسير تبعا للمسلك الفكري ولو كان منبت أصله فلسفي، ومثله الصوفي.

(١)"وأكثر من اعتنى بالاتجاه الإشاري هم الصوفية، وهو عندهم رياضة روحية تصل بهم إلى الكشف فيستبصر ما في الآية من معارف وفق هذا الكشف "ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: (٢/٢٦١).

(٢) الغنوصية :التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقى في النفس إلقاء، فلا تستند إلى الاستدلال، أو البرهنة العقلية، وكان شعارها: بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان، أما معرفة الإله فهي الغاية والنهاية، ولذا سميت الغنوصية، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع الجهني: (٢/١١٠٣).

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعانى، الجرجانى: (ص:٢٣١).

(٤) ألفه عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت:٤٦٥هـ) إمام الصوفية في (ق:٥هـ). يُعد التفسير تفسيرا صوفيا إشاريا.

(٥) "هذا التفسير طبع مجرداً من مجلدين، وطبع على هامش عرائس البيان فى حقائق القرآن، لأبى محمد بن أبى النصر الشيرازى، وينسب له..على مذهب صاحبه فى وحدة الوجود، ولعل هذا هو السر الذى من أجله نُسب الكتاب لابن عربى" التفسير والمفسرون، الذهبي: (٤/٣٣٦و٣٣٨).

على مذهب وحدة الوجود، ذلك المذهب الذى كان له أثره السيء في تفسير القرآن الكريم، **وأما ما فيه من تفسير إشاري، فكثير منه لا نفهم له معنى، ولا نجد له في سياق الآية أو لفظها ما يدل عليه"**(١). فمن الإشاري عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[البقرة:١٢٦]. يقول ما نصه: "وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا الصدر الذى هو حرم القلب، بلداً آمناً من استيلاء صفات النفس، واغتيال العدو اللَّعين، وتخطف جن القوى البدنية أهله، وارزق أهله من ثمرات معارف الروح أو حكمه أو أنواره"(٢). ومن التفسير المبنى على وحدة الوجود، عند قوله تعالى:﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾[الواقعة:٥٧]..يقول:"نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا وظهورنا في صوركم"(٣). وعند قوله:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد:٤]. يقول:"وهو معكم أينما كنتم بوجودكم به، وظهوره في مظاهركم"(٤).ويقول:﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾[نوح:٢٥]. فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الحيرة، ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ في عين الماء، ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد"(٥). يقول رشيد رضا: "ما يسمونه بالإشارة، وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية. ومن ذلك التفسير الذي ينسبونه للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي. وإنما هو للقاشاني الباطني الشهير، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز"(٦). يقول الذهبي:"أن يكون المعنى الذي يريد المفسر نفيه أو إثباته صوابا، فمراعاة لهذا المعنى يسلب لفظ القرآن ما يدل عليه ويراد به، ويحمله على ما يريده هو، وعلى هذا يكون الخطأ واقعا في الدليل لا في

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي: (٤/٣٣٦-٣٣٧).
(٢) المصدر السابق: (٤/٣٣٨).
(٣) المصدر السابق: (٤/٣٣٨).
(٤) المصدر السابق: (٤/٣٣٨).
(٥) المصدر السابق: (٤/٣٤٥).
(٦) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا: (١/١٨).

المدلول أيضا، وهذه الصورة تنطبق على تفاسير بعض الصوفية، الذين يفسرون القرآن بمعان إشارية صحيحة في حد ذاتها، ومع ذلك فإنهم يقولون إن المعاني الظاهرة عير مرادة"[(١)].

ومن الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري العلمي تفسير طنطاوي جوهري: الجواهر في تفسير القرآن الكريم[(٢)]. وتفسيرات عبد الرحمن الكواكبي[(٣)]. ولا شك أن في القرآن الكريم دلائل طبية وكونية عظيمة، لكن الإشكاليه عند أصحاب الاتجاه العلمي في التفسير هو مالديهم من علم في الطب أو الكون والهندسة والفيزياء يريدون أن يجعلوا القرآن بتفسيره دليلاً لها، وهو ما يمثل آيديولوجيا التوجه الفكري العلمي التجريبي. وهنا يخرج التفسير من مراد الله تعالى، إلى مراد المفسر مما لاحد له وقابل للخطأ، فليس له حد؛ لأن القرآن حمَّال أوجه، والتفسير العلمي قابل للخطأ لأن تجارب الإنسان ومكتشفاته لا تصل لدرجة اليقين في معظمها. ونجد هذا التوجه الآيديولوجي عند الغزالي والرازي. ومن المعاصرين ممن فتح لهذا التوجه بابه محمد عبده، لكن نجد طه حسين(ت:١٣٩٣هـ) يعترض عليه فيقول: "لا أستطيع أن أتابعه فيما اتجه إليه من محاولة تفسير القرآن الكريم بحيث يكون ملائما للعلم كما نعرفه في وقتنا الحاضر، لأن القرآن ثابت والعلم متغير، والإيمان بالقرآن الثابت لا ينبغى أن يحتاج إلى محاولة الملاءمة بينه وبين ما يعرفه الناس من العلوم في جيل ما، في بلد ما، قد ينقضه علم جيل آخر أو بلد آخر"[(٤)].

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي: (١/٢٠٠).
(٢) وسبق إيراد هذا التفسير في المسلك العلمي التجريبي المغالي، وليس هناك تناقض، فجعله مغاليا إشارة إلى أنه ينتمي للمسلك الفكري العلمي.
(٣) يقول عنه النيفر: "نشر مجموعة مقالات في بعض الصحف المصرية سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ثم جمع في كتاب أبهم اسمه ورمز له بالرحالة (ك)" ويشير بذلك إلى كتابه الشهير طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. ينظر: الإنسان والقرآن وجها لوجه التفاسير القرآنية المعاصرة قراءة في المنهج، احميدة النيفر: (ص:٩٧).
(٤) ما بعد الأيام، محمد حسن الزيات: (ص:٢٨).

وقد علا المسلك الفكري بالتوجه العلمي عند طنطاوي جوهري في كتابه الجواهر، ويصرح هو بذلك فيقول: "وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين، فيفهموا العلوم الكونية"[(١)]. ويقول مبالغا أيضا: "إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض عَيْن على كل قادر إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدى مَن يشاء إلى صراط مستقيم"[(٢)]. فهو يمثل طائفة المنبهرين بالعلوم الغربية في الطب والكون وغيرها، ويود لو أن القرآن نزل بها وحدها لشدة ما عظمت في نفسه!.

ومن الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري التوجه الغربي[(٣)]المتقلد للفكر الاستشراقي، نتاج محمد أحمد خلف الله[(٤)]. في كتابه الفن القصصي في القرآن، الذي درس به القصة القرآنية دراسة موضوعية بيانية، لكنها فكرية في الوقت نفسه، متأثرة بالنظرة الغربية لمفهوم القصة الأدبية، ولمفهوم الأساطير في التاريخ الروماني وغيره من تحقيقات الغرب الحديثة في تاريخهم، فخلص بعد ذلك إلى أن القصة القرآنية بما فيها قصص الأنبياء أساطير لا يراد بها التأريخ ولا وصف حقائق سابقة، بل أريد بها التمثيل للعبرة[(٥)].

ومن الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري الإصلاحي الاجتماعي: توجه المدرسة العقلية الحديثة التي ارتادها محمد عبده، حيث"كان للحضارة الغربية

(١) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري: (٣/١).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣)يقول النيفر: "مثل هذا التيار المولي للنص الأولية في العمل التفسيري، عرف بعد خلف الله تراجعا، ثم عاد للانطلاق من جديد مع القراءات الحديثة للقرآن المواصلة على المنهج نفسه بعدة معرفية أكثر تطورا". الإنسان والقرآن، النيفر: (ص:٤٤).
(٤)وكتابه أطروحة الدكتوراه التي رفضتها لجنة المناقشة عام ١٩٤٧م.
(٥) وقد فصلت الكلام في البيان لمسألة خلف الله في بحث آخر، حيث إنه مرتبطة بالمدرسة العقلية التفسيرية المعاصرة. ويمثل بداية لتوجه خطير على تفسير القرآن الكريم.

بطبيعتها المادية أثراً واضحا في بعض الانحرافات التي وقع فيها الشيخ محمد عبده في تفسيره للنص القرآني الذي كثيرا يحاكي تلك النزعة المادية حتى أخرج بعض المعجزات والآيات الباهرات من مدلولاتها المنصوص على قطيعتها إلى تأويلات بعيدة عن روح النص القرآني"[(١)]ونتج عنها تفاسير كاملة كتفسير المنار، وتفسير القاسمي محاسن التأويل، ومحمد فريد وجدي له المصحف المفسر، ومحمد عزة دروزة له التفسير الحديث، وعبد الكريم الخطيبله التفسير القرآني للقرآن –وقد أفردت الكلام عنها في بحث مستقل– "فلم يخلو الواقع الحديث من تأثر بعض أصحاب الثقافة الإسلامية بالأفكار الغربية وطبيعتها المادية في تفسير الظواهر حتى بلغ ذلك التأثير أن طال أحد أقطاب الإصلاح الديني في عصر النهضة الحديث وهو الشيخ محمد عبده"[(٢)]. يقول فضل حسن عباس:"من تلك المؤثرات في شخصية الشيخ، كان ذلك التطواف وتلك الرحلات في البلدان الأوربية، حيث اطلع على نظمها وأساليب الحياة فيها والتقدم العلمي الذي وصلت إليه، فكان لذلك كله أثر غير خاف في منهجة الإصلاحي والعلمي"[(٣)]. **يقول محمد عبده في خلق** عيسى:"ونحن نرى علماء الغرب وفلاسفته متفقين على إمكان التولد الذاتي..ونحن نستدل على وقوعه بالفعل، بخبر الوحي الذي قام الدليل على صدقه"[(٤)]. "إن نظرية التولد الذاتي ثبت بطلانها بعد التجارب التي قام بها بستير الفرنسي وذلك قبل زمن الأستاذ الأمام" [(٥)].

أسهمت مدرسة المنار في فتح الباب للفكر الحداثي لطرح الأفكار الغربية بمنظور غربي بحت –كما سيأتي– فمن الأفكار التي سقطت على القرآن من هذه المدرسة إيمان اليهود والنصارى، يقول المراغي في تفسيره قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]:"إن جميع الملل والشرائع التي جاء بها الأنبياء روحها الإسلام والانقياد والخضوع..فالمسلم الحقيقي من كان خالصا من شوائب

(١) أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عبدالله علي عباس: (ص:١٩).
(٢) زعماء الاصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين: (ص:٢٥٩).
(٣) المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس: (ص:١٨).
(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: (٣/٢٥٤).
(٥) المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل عباس: (ص:٨٢).

الشرك، مخلصا في أعماله مع الإيمان من أي ملة كان، وفي أي زمان"[١]. حتى جاء محمد عابد الجابري فقال في تفسيرها "وبالتالي فالمعنى الذي نرجحه هو كما يلي: ومن يبتغ دينا غير مُنزلٍ من الله فلن يقبل منه. بمعنى أن من يتبع دينا غير دين إبراهيم فلن يقبل منه. وهذا ما يفيده السياق ويشهد له الواقع فقد أعترف الإسلام باليهودية والنصرانية وفرض على أهلهما فهم القرآن الكريم"[٢].

ومن الإنتاج التفسيري المعاصر في المسلك الفكري الغربي[٣]**الحداثي**[٤]**الماركسي**[٥]، تفسيرات الحداثيين ضمن المناهج الغربية "إن خطورة كتابات الحداثيين بشكل عام هي في الربط بين المتناقضات وما ذلك إلا اضطراب فكري وخلط منهجي"[٦]. إن "موقف الإيديولوجيين – الذين جاءوا بعد الإصلاحيين شاءوا أم أبوا وعوا أم لم يعوا، مرتبط ارتباطاً وثيقاً، وربما منهجياً (بدرجة كبيرة) بحركة العقل الغربي، الآخر القاهر من الخارج والذي يصل إلى أعماق الداخل

(١)ينظر: تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي: (١١٩/٣).
(٢)ينظر: التفسير الواضح حسب أسباب النزول، محمد عابد الجابري: (١٤٥/٣).
(٣) "فلقد جاءوا جميعاً شأنهم شأن أقرانهم مثل عبد الله العروي ومحمد الجابري وغيرهم من خارج المؤسسات الدينية ومعاهد الدراسات الإسلامية..فدرس شحرور في جامعات الاتحاد السوفييتي..ودرس حسن حنفي في جامعة باريس..كذا أبو القاسم حاج". ملامح التنوير، محمود عزب:(ص:١٣٨- ١٤٤).
(٤) الحداثة: الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها". ينظر: الموسوعة الميسرة، الجهني: (١٦٤/١). "وتقدم نظرية عن الأدلوجة. إنها تجيب عن السؤال التالي: ما هي الأسباب التي جعلت الفكر الإنساني في كل أدواره يرى الأشياء طبقاً لدعواه هو لا طبقاً لذاتها هي، في هذا الاستعمال يقابل مفهوم الأدلوجة، مفهوم الحق: الحق هو ما يطابق ذات الكون، والأدلوجة ما يطابق ذات الإنسان في الكون". مفهوم الايديولوجيا، عبد الله العروي: (ص: ١٠).
(٥) الماركسية: "هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف من أصول ألمانية يهودية من القرن التاسع عشر". ينظر: وكبيديا (الماركسية).
(٦) مدارس الفكر العربي الإسلامي تأملات في المنطلق والمصب، عبد الرزاق قسوم: (ص ١٠٧).

بصور مختلفة، المغربي بإنجازاته[١]. يقول طه عبد الرحمن:"الحداثيون يقولون بقراءات حداثية ولكنها في الحقيقة هي قراءات مقلدة، وليس لها من الحداثة شيء،..هؤلاء يا ليتهم! فعلوا هذا بوسائل ابتدعوها من عندهم!! إنما هم يفعلون هذا بوسائل ينقلونها عن غيرهم، ينقلونها عن الغرب ويسقطونها على النص القرآني بتقليد مطلق..تقليد مطلق كل ما قام به المسيحيون وهؤلاء العلمانيون والمستشرقون فيما يتعلق بدراسة النصوص للكتب المقدسة من التوراة والإنجيل أخذوها وطبقوها على القرآن بشكلها المسيحي وبشكلها السياقي الذي حدده أهلهم"[٢]. والمناهج الغربية التي تناول الحداثيون القرآن الكريم بالتفسير هي: المنهج التأويلي (الهرمنيوطيقي)، والمنهج اللساني النقدي، والمنهج التاريخي، والمنهج الأسطوري، والمنهج البُنْيوي، والمنهج التفكيكي. ومنهج تاريخية النص القرآني. هذه المناهج تتضمن نظريات الغرب في دراسة الكتاب المقدس: كالسيميائية والتاريخانية، والهرمينوطيقا والسيميوطيقا والتفكيك والأنثربولوجية، والأنسنة وعلم النفس التاريخي [٣].

ومن هؤولاء المتبنين للمناهج الغربية في تفسيراتهم للقرآن: محمد شحرور(ت:٢٠٢٠) في الكتاب والقرآن قراءة معاصرة وله مجموعة كتب أخرى، وحسن حنفي[٤] وتفسيراته

(١) ملامح التنوير، محمود عزب: (ص١٤٤).
(٢)ينظر: مركز الدراسات الإسلامية والإنسانية، الشبكة العنكبوتية:
http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Taha_Abdulrahman/Modernists_and_Imitation.htm
(٣) ينظر: المعجم الفلسفي المختصر، الاتحاد السوفييتي؛ وينظر: النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، حماد هوار، إشراف بومدين، بوزيد، رسالة جامعية جامعة وهران الجزائر السنة الجامعية ٢٠١٢-٢٠١٣م ابتداء من ص:٧.
(٤) "من خلال الاطلاع على فكر د. حسن حنفي من مؤلفاته الكثيرة أو من موافقيه ونقاده تتضح دعوته إلى الأنسنة..ولقد تعامل مع القرآن الكريم بهذه النظرية ودائماً يربط التفسير بالوحي. إن الوسيلة التي يستخدمها هو وكل الحداثيين هي علم الفلسفة الذي يستخدم قوالبه لتغيير المفاهيم الثابتة، جاعلاً التشكيك والإقناع هما الطريقان لتقديم مفرزاته حول التراث الذي هو العقيدة والتجديد الذي هو الثورة بحسب مفهومه لها" مدارس الفكر العربي الإسلامي، عبد الرزاق قسوم: (ص:١٠١). "وهي نظرة جديدة للحياة وللإنسان، تقوم على الإيمان بالإنسان=

في كتابه مناهج التفسير، ومفهوم النص، ومحمد أبو القاسم حاج حمد. ومحمد أركون[١] ونصر حامد أبو زيد[٢]، وفضل الرحمن(ت: ١٩٨٨م)[٣]، والطيب تيزيني (ت:٢٠١٩م) في النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة،..وغيرهم. فمحمد أركون (ت:٢٠١٠م) في كتابه: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، نواقض كثيرة! فهو يقول بتحريف القرآن، ويثور على الموروث كله، ويتقرب فيه لأهل الكتاب مع هجومه على الإسلام! كاستنكاره للجهاد في الإسلام، ودعواه ظلم الإسلام لغير المسلمين"[٤]. ونصر حامد أبو زيد (ت:٢٠١٠) في الخطاب والتأويل، "القرآن عنده مبني على المعرفة الأسطورية، وقداسة القرآن من العقلية الرجعية، والقرآن انتقاء من الكتب السابقة، وهو قابل للقبول والرفض، وإخضاع القرآن للفلسفات والعلوم الغربية! على وفق هذه الأفكار فسر أبو زيد ما فسره من القرآن الكريم في كتبه!"[٥]. وخليل عبد الكريم(ت:٢٠٠٢م) فمن النقض للأصول في كتبه: قوله بتاريخية القرآن الكريم، التشكيك في مصدرية القرآن الكريم، تقسيم القرآن إلى قرآنين، وأن القرآن يحابي النبي ﷺ، وأنه نزل لاسترضاء أصحاب النبي ﷺ. وعلى هذه الأفكار وغيرها تناول تفسير القرآن الكريم[٦]، ومحمد شحرور في كتابه: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، فمن النقض في أفكاره: إخضاع القرآن للتأويل، وتقسيم آيات القرآن إلى أقسام بدعية، وقوله بتاريخية القرآن، وإهمال مصادر التفسير والاكتفاء بالعقل[٧]، وهشام جعيط له

= نفسه وبمقدرته على إدراك الحقيقة وبلوغ الخير والسعادة في هذا العالم". الإيديولوجيا والوعي المطابق، عدنان عويد: (ص:١٥٨).

(١) ومن مؤلفاته: قراءات القرآن، الإسلام الأمس والغد، الفكر الإسلامي قراءة علمية.

(٢) ومن مؤلفاته: الاتجاه العقلي في التفسير، فلسفة التأويل ومفهوم النص "إشكاليات القراءة وآليات التأويل".

(٣) ومن مؤلفاته: الإسلام، النبوة في الإسلام: الفلسفة والسلفية، الإسلام وضرورة التحديث: نحو إحداث تغيير في التقاليد الثقافية.

(٤) الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل الشدي، ينظر: (ص: ١٨٢-٢٠٧).

(٥) المصدر السابق: (ص: ٢١٠-٢٣٣).

(٦) المصدر السابق: (ص: ٢٣٧-٢٦١).

(٧) المصدر السابق: (ص: ٢٦٤-٢٩٠).

تفسيرات في كتابَيْ: الوحي والقرآن والنبوة، وتاريخية الدعوة المحمدية، ناقضة لأصول التفسير، كقوله بأن القرآن ليس قول الله مباشرة، وإهمال السنة النبوية، ومناقضة الإيمان للعقل، والرؤية الفلسفية، وتطبيق الفكر الاستشراقي في التفسير(١).

ويمكن أن نصف توجه هؤلاء والمنتمي للمسلك الفكري بأنه توجه نقضي، فهو يريد أن يخرج عن أصول التفسير وضوابطه، لا بل نقضها، ونقض المبادئ الإسلامية التي أسسها القرآن وتحدث عنها النبي ﷺ كأول من فسر القرآن ثم توسع في إقرارها الصحابة الكرام والعلماء من بعدهم إلى يومنا هذا. ورغم حقيقة أن هذا التوجه النقضي ليس بريئا ولا سليما! لكن قد يكون من دوافعه ومبرراته، إرادة مخالفة تلك التوجهات الفكرية عند أصحاب الاتجاهات التفسيرية، وما تحمله من جوانب تبعد عن التفسير ومراده. "ولو أن هؤلاء جميعا حين خاضوا في تفسير القرآن الكريم، لم ينظروا إليه من خلال نزعاتهم وأهوائهم، وراعوا قوانين التفسير التي لا يجوز تخطيها، ما رأينا هذه الاتجاهات المنحرفة التي لا تخضع إلا لمجرد الهوى والاستحسان"(٢). لذلك ظهر تحت مسمى التجديد في التفسير هذه التوجهات وهي مناقضة للقرآن الكريم ولمنهج النبي ﷺ في التفسير، وللعقل الصحيح الراجح.

يقول د. طه عبد الرحمن: "فأنا بينت أن هناك إستراتيجيات ثلاثة يلجأ إليها هؤلاء، الخطة الأولى يمكن أن نسميها خطة "أنسنة" وهي محاولة إرجاع النص الإلهي إلى نص إنساني ويتبعون في ذلك خطة معينة تنتهي بهم إلى رفع القدسية عن النص الإلهي،..ورد النص الإنساني عقلي تاريخي. وخطة الأرخنة تعني وضع النص في السياق التاريخي، وخطة العقلنة وهي إزالة كل ما فيه ما يتجاوز العقل"(٣).

(١) المصدر السابق: (ص: ٢٩٧-٣٣٠).
(٢) ينظر: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، الذهبي: (ص: ١٩-٢٠).
(٣) ينظر: روح الحداثة، طه عبد الرحمن: (ص: ١٧٨، ١٧٩). وينظر: أزمة الإبداع الموصول عند طه عبد الرحمن؛ القراءة الحداثية للنصّ القرآني نموذجًا)، مجلة الكلمة، عدد: ٥١، ٢٠٠٦م.

ويقول: "أنّ خطتهم في التأنيس متفرّعة على المبدأ الأول الذي يقضي بالاشتغال بالإنسان دون سواه، وخطتهم في التعقيل متفرّعة على المبدأ الثاني الذي يقضي بالتوسل بالعقل دون سواه، وخطتهم في التأريخ متفرّعة على المبدأ الثالث الذي يقضي بالتعلق بالدنيا دون سواها"(١).

ولم يكن الغرض هو حصر التوجهات في المسلك الفكري، وحصر تفسيراتهم للقرآن الكريم، ونلحظ برزخية بعض التوجهات في المسلك الفكري فهي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهي مرحلة انتقالية غالبا يتولد عنها توجه مستقل، فهناك من التشعبات للأيديولوجيا الواحدة ما نمت حتى انفصلت عن أمها وشكلت توجها ذاتيا وفسرت القرآن بما يخدم فكرها، لكن لا تخرج جميع الأيديولوجيات الفكرية في المسلك الفكري عما ضمناه هنا من توجهات عامة ظهر لها تفاسير للقرآن الكريم وهي (التوجه السياسي، والديني الاعتقادي، والاجتماعي الإصلاحي، الحضاري الغربي).

والخلاصة بعد الحديث عن المسالك السابقة، أنا نريد ضبط المسلك الأمثل في التفسير وتحديد ملامحه ومنهجه لينتج التفسير مستقبلا بمقتضياته، ويتجاوز ثغرات المسالك الصحيحة، ويتجنب المسالك الذاتية، لتكن غايته معرفة مراد الله عز وجل. ومن أبرز ملامحه -كما ورد في المبحث الأول-أنه انتقائي، أصولي، لكن يحتاج بيانه لبحث مستقل، وقد شرعت به فعلا -فالله المعين والمسدد-.

(ص:١٠٤). وينظر: مركز الدراسات الإسلامية والإنسانية
http://www.arabphilosophers.com/Arabic/aphilosophers/acontemporary/acontemporary-names/Taha_Abdulrahman/Modernists_and_Imitation.htm

(١) ينظر: روح الحداثة، طه عبد الرحمن: (ص: ١٨٩).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

أهم نتائج الدراسة:

١. حصر مسالك التفسير المعاصرة، وحصر أبرز المفسرين فيها، لتسليط الضوء على النقطة التي من المفترض أن ينطلق منها التفسير المعاصر من جديد. ومسالك التفسير هي: المسلك الأصولي والفلسفي والعلمي والفكري.

٢. وضع كل مفسر في الجهة التي انطلق منها وأنتج تفسيره في رحابها، لمعرفة مصب هذه التفاسير في أي اتجاه وما أثرها.

٣. بيان الرابط بين طبيعة تفكير الإنسان وتأثيره في توجهه بالأخص التفسيري، وتأثير الواقع السياسي، والاجتماعي، والحضاري في نتاجه التفسيري.

٤. المسلك الأصولي في التفسير هو الذي يجب أن يتخذه المفسرون المعاصرون بنظرة تجديدية للوصول للمسلك الأمثل في التفسير.

٥. تحديد مفهوم أكثر انضباطا لتفسير القرآن يفصله عن إسقاط الإنسان ذاته وفكره في إنتاجه التفسيري، ثم تحديد ضوابط للتفسير تبعده عن الاستطرادات، والتوسع في غير مقصود النظم القرآني.

٦. اختار الباحث بعد النظر والاستقراء أن يكون معنى التفسير هو: سعي النبي ﷺ ومن تبعه لبيان مراد الله سبحانه والكشف عن مقصده من كلامه بقدر ما يوفقهم الله ويهديهم، وفق حاجة المتلقين لغاية هدايتهم أو محاجتهم. فهذا التعريف يحل إشكالات المسلك الأصولي —من وجهة نظري– ويسد الباب على المسلك الفكري، وبالأخص توسعات الحداثيين وأشباههم.

٧. المسلك الفلسفي في التفسير له اتجاهان الأول إسقاط فلسفة اليونان على القرآن، والثاني الفلسفة الحرة. والأول يتقاطع مع المسلك الأصولي والثاني يحاول التوفيق.

٨. المسلك العلمي في التفسير يعنى بالحقائق العلمية ودلالة القرآن عليها أو إشارته. وخرج بعضهم عن هذا الضابط ووجهوا هذا المسلك نحو المسلك الفكري.

٩. كل الاختلافات على التفسير إلى حد الخروج عن الضوابط والأصول آتية من المسلك الفكري الإسقاطي الذي يعبر عن الإنسان لا عن القرآن.

١٠. المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، تتبع المسلك الفكري في أغلب إنتاجها التفسيري، وقد أثر فكرها على من بعدها كثيراً.

١١. لا تطابق في الأفكار أبدا فالفكر متنام عند الإنسان المفكر، لذلك تجديد الفكر وإحياؤه لا يأخذ صورته الأولى بل يتماها مع ذات المفكر الجديد بتجدد الزمان والمكان.

١٢. من آثار المسلك الفكري في التفسير: إحداث فرقة واختلاف بالاستشهاد بالقرآن الكريم لكل ما يريده المفسر بهذا المسلك، وما يترتب على ذلك من ردود وجدل، وكل يدعي صوابه مستند إلى القرآن الكريم، مما يجعل كل جهة مذهبا تتعصب له وتذم به غيرها. تنحى إلى الشدة غالبا، وتنقل كَمًّاً من الأثر النفسي المتجه لطرف دون آخر، حتى في المسائل التي يتسع الخلاف فيها ولا يمس عقيدة أو شريعة، مما يولد عند المتلقي تعصبا تجاه رأيه اللغوي أو العقدي أو الفقهي أو السياسي.

التوصيات:

١. وضع نظرية للتفسير الأمثل للقرآن الكريم باستحضار رؤية متوازنة للنتاج التفسيري المعاصر والتراثي، يكون غايتها معرفة مراد الله عز وجل من كلامه دون أدنى إسقاط ذاتي من المفسر.- وقد شرعت بذلك في بحث آخر-

٢. دراسة التفاسير المعاصرة نقدا وتحليلا وتقويما بمنظور المسالك التي تنتمي إليها، وبيان وجهتها وتوجهها نحو مسلك آخر أو جديد.

٣. العناية بتدريس طلبة الدراسات العليا لمثل موضوع هذا البحث، ليتشكل لديهم نظرة شمولية ومتوازنة تجاه مفهوم التفسير والتجديد فيه، وليتشكل لهم حصانة من التفسيرات الخارجة عن الأصول العلمية، وذات التوجه الفكري.

٤. البحث في أثر المسلك الأصولي في التفسير من خلال تفاسير الطبري والبغوي وابن كثير، وأثر المسلك الفكري في التفسير من خلال تفاسير الزمخشري والقرطبي والرازي. على سبيل المثال.

٥. البحث في أثر المسلك الأصولي في التفسير من خلال التفاسير المعاصرة كتفسير الألوسي، والسعدي، والشعراوي، والسامرائي، وأبو موسى.

٦. البحث في أثر المسلك الفكري في التفسير من خلال التفاسير المعاصرة كتقسير الجوهري، والمرزوقي، وتفاسير مدرسة المنار، والتفاسير الحزبية، والأيديولوجية الدينية والمذهبية، وتفاسير الحداثيين.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

****

فهرست المراجع

١. أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، دار الغد الجديد، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ.
٢. ابن فارس أحمد بن زكريا معجم مقاييس اللغة المحقق: عبد السلام محمد، دار الفكر (د. ط) ١٣٩٩هـ.
٣. الاتجاه السياسي في تفسير القرآن؛ تَعْرِيفٌ وتأْرِيخٌ وتأْصيل رأفت (محمد رائف) رأفت المصري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد: ١٠٩المجلد:٣٢، ٢٠١٧م.
٤. الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل الشدي، مدار الوطن، الرياض ط١، ٢٠١٠م.
٥. الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، الذهبي، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤٠٦هـ.
٦. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي(ت:٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية،(د: م، ط) ١٩٧٤م.
٧. إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة (د. ن) (د. ط) (د. ت).
٨. أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت. ط٦، ١٩٨٢م.
٩. أصول التفسير ومناهجه، فهد عبد الرحمن، (د. ن) (د. م) ط٣، ٢٠١٧م.
١٠. الإعجاز العلمي الطبي في القراءات الشاذة صحيح السند" دراسة نظرية تطبيقية في التفسير والقراءات والطب النظري" الكناني، مجلّة الجامعة الإسلاميّة، ملحق العدد: ١٨٣(الجزء الثالث عشر) ٢٠١٩م

١١. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، عبد الله المصلح، دار جياد، السعودية ط٢، ٢٠١١.
١٢. الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف الرياض ط١ ١٤١٢هـ.
١٣. الإنسان والقرآن وجها لوجه التفاسير القرآنية المعاصرة قراءة في المنهج، احميدة النيفر، دار الفكر المعاصر بيروت ودمشق(د. ط) (د. ت).
١٤. الأيديولوجيا وتفسير القرآن، نقد وتقويم، الكناني، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، جامعة القاهرة كلية دار العلوم، العدد: (٥١) شوال ١٤٣٥هـ.
١٥. البحر المحيط، أبو حيان، دار الفكر، بيروت(د. ط) ١٤٢٠ هـ وإحياء التراث بيروت،(د. ط) ١٩٩٠م.
١٦. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار إحياء الكتب العربية (د. م) ط١(د. ت).
١٧. البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية،(د. م) ط١ (د. ت).
١٨. بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، مؤسسة قرطبة (د. م) (د. ط) (د. ت).
١٩. تاريخية الفكر العربي، ترجمة، محمد أركون، هشام صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦.
٢٠. تبسيط الفلسفة، رجب بو دبوس الدّار الجماهيريّة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا بنغازي ط١ (١٤٢٥هـ).
٢١. التحرير والتنوير، ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
٢٢. تعريف علم الكلام جلال الدين الداوني (ت:٩١٨) دار ابن عرفة، تونس(د. ط). (د. ت).

٢٣. التعريفات، الجرجاني علي بن محمد، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥م.
٢٤. تفسير ابن تيمية الجامع لكلام ابن تيمية في التفسير، إياد القيسي، دار ابن الجوزي، الدمام،ط١، ١٤٣٢هـ.
٢٥. تفسير الراغب الأصفهاني، له، تح: محمد بسيوني، جامعة طنطا (د. م) ط١: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٢٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ط) ١٩٩٠ م.
٢٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع، (د. م) ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٨. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: ٣٣٣هـ) المحقق: مجدي باسلوم دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٢٩. التفسير والإعجاز العلمي..ضوابط وتطبيقات، مرهف عبد الجبار، دارمحمد الأمين، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.
٣٠. التفسير والمفسرون، الذهبي، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة وهبة، القاهرة (د. ط). (د. ت).
٣١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ) المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة، (د. م) (د. ط) (د. ت).

٣٢. جامع البدائع، (رسائل ابن سينا وعمر الخيام وغيرهما) الرسالة الرابعة محمد حسن إسماعيل، تحقيق: محمد حسن إسماعيل دار الكتب العلمية، لبنان،(د. ط) ١٩١٧م.

٣٣. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،(د. م) ط١، ١٤٢٠ هـ.

٣٤. الجامع الصحيح، البخاري، دار ابن كثير، حسب ترقيم فتح الباري دار الشعب – القاهرة ط١، ١٤٠٧هـ. وتحقيق: د. مصطفى ديب البغا،دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٣٥. الجامع الصحيح، مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت(د. ط) (د. ت)

٣٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١ هـ) تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، (د. ط) ١٤٢٣هـ.

٣٧. جواهر القرآن ودرره، الغزالي ابو حامد، دار المركز العربي للكتاب، بيروت(د. ط) (د. ت).

٣٨. الجواهر في تفسير القرآن الكريم: المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، طنطاوي جوهري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ط٢، ١٩٣١م،

٣٩. جوهرة التوحيد، اللقاني، منتديات دار الإيمان، الشاملة (د. م) (د. ط) (د. ت).

٤٠. حاشية مقدمة التفسير، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، (د. ن) (د. م) ط٢، ١٩٩٠م.

٤١. الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط١، ٢٠٠٥م.

٤٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ) السعادة بجوار محافظة مصر،(د. ط) ١٩٧٤م ودار الكتاب العربي، بيروت(د: ط، ت).
٤٣. دلائل الإعجاز في علم المعاني الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل (ت: ٤٧١هـ) المحقق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية الدار النموذجية (د. م) ط١ (د. ت).
٤٤. رسائل إخوان الصفاء وخِلَّان الوفاء، إخوان الصفا، المطبعة العربية، القاهرة، (د. ط)، ١٩٢٨م.
٤٥. روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.
٤٦. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ط)١٤٢٧هـ ٢٠٠٥م .
٤٧. سلسلة التفسير الفلسفي للقرآن، تعريف مجمل بأبي يعرب المرزوقي محمد كنفودي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، (د. م) (د. ط) (د. ت)
٤٨. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة(د: م، ط، ت).
٤٩. شرح (مقدمة التفسير) لابن تيمية، ابن العثيمين محمد بن صالح، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٥م.
٥٠. صحيح الجامع الصحيح، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت (د. ط) (د. ت).
٥١. طبقات المفسرين، السيوطي، تحقيق: علي محمد، مكتبة وهبة، القاهرة ط١، ١٣٩٦م.

٥٢. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن عبد الهادي محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي – بيروت (د. ط) (د. ت).
٥٣. الفتاوى الكبرى الفقهية، ابن حجر الهيتمي(ت: ٩٧٤هـ) دار الفكر (د. م) (د. ط) (د. ت).
٥٤. الفخر الرازي في عالم الفلسفة، محمد السائح، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر ١٩٥٧ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المشور السعيد، الرباط، المغرب (العدد: ١٢).
٥٥. فصوص الحكم، ضمن المجموع من مؤلفات أبي نصر الفارابي،(د. م) (د. ن) (د. ط) (د. ت).
٥٦. فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي، محمد الحبيب المرزوقي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٥٧. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، تعليق: خليل عبد الكريم، سينا للنشر، لندن–بيروت–القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م. وطبعة مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٢م.
٥٨. في التفسير الفقهي، محمد قاسم المنسي، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٩٦م.
٥٩. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
٦٠. كتاب المواقف، الإيجي عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت ط١، ١٩٩٧.
٦١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، دار الكتاب، بيروت (د. ط) ١٤٠٧هـ.

٦٢. كيف يجب علينا أن نفسر القرآن، الألباني، منقول عن: أرشيف ملتقى أهل الحديث. (د: م، ن، ط، ت).

٦٣. مجموع الفتاوى، ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تح: أنور الباز، دار الوفاء، (د. م) ط٣، ١٤٢٦ هـ.

٦٤. مدارس الفكر العربي الإسلامي، عبد الرزاق قسوم، دار عالم الكتاب، الرياض (د. ط) ١٩٩٧م.

٦٥. مذاهب التفسير الإسلامي، اجنتس جولد تسهير (د. م) القاهرة، (د. ط) ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥م.

٦٦. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ

٦٧. مسند إسحاق بن راهويه، له، تح: عبد الغفور البلوشي مكتبة الإيمان، (د.ن) المدينة المنورة ط١، ١٤١٢هـ.

٦٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ

٦٩. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الاتحاد السوفييتي، موسكو ط١/١٩٨٦م.

٧٠. مفاتيح الغيب، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٧١. المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، (د.ط) ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٧ م .

٧٢. مفهوم الإيديولوجيا والادلجة، العروي عبد الله، المركز الثقافي العربي، المغرب ط٣،١٩٨٤.

٧٣. مقدمة في الفلسفة وقضاياها، صبري خليل، رابطة الطلاب الفلسفيين جامعة الخرطوم (د. ط) ٢٠٠٥م.
٧٤. ملامح التنوير في مناهج التفسير، عزب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط) ٢٠٠٦م.
٧٥. مناهل العرفان في علوم القرآن محمد الزُّرْقاني(ت: ١٣٦٧هـ) مطبعة عيسى البابي، (د. م) ط٣، (د. ت).
٧٦. المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، محمد العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م
٧٧. المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، محمد التوبخي، عالم الكتب،(د. ط)(١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
٧٨. الموافقات، الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان (د. م) ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٧٩. موافقة القرآن الكريم أو السنة النبوية لحقائق العلم التجريبي الحديث، نور الدين عتر، (د. م) (د. م) (د. م)
٨٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مراجعة مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، (د. م) (د. ط) (د. ت).
٨١. نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: أسس تشريع الأحوال الشخصية، محمد شحرور، طبع في دار الساقي، وأتيح إلكترونيا(د. م) (د. ط) (د. ت).
٨٢. النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، حماد هوار، إشراف بومدين، بوزيد، رسالة جامعية جامعة وهران الجزائر السنة الجامعية ٢٠١٢-٢٠١٣م.
٨٣. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، القصَّاب الكَرَجي، تحقيق: إبراهيم بن منصور الجنيدل، وغيره، دار القيم، ودار ابن عفان،(د. م) ط١، ١٤٢٤هـ.

٨٤. الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الدمنهوري، مصطفى البابي، بمصر،(د. ط) ١٣٤٩هـ.

٨٥. وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة، الألباني، الكتبة الإسلامية، عمان، ط٢،١٤٢٢هـ.

٨٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.